أهل الصفة
لدراسات التصوف وعلوم التراث

مجلة علمية دولية مُحكمة
تعنى بحقائق علوم الشريعة
ودقائق علوم الحقيقة

ردمد (النسخة المطبوعة): 4967 - 3062
ردمد (النسخة الالكترونية): 4975 - 3062

المجلد الثالث - العدد الأول
ذو الحجة ١٤٤٧هـ
يونيو ٢٠٢٦ م

البيت المحمدي للتصوف

تصدر عن أكاديمية أهل الصفة لدراسات التصوف وعلوم التراث
بمؤسسة البيت المحمدي المشهرة برقم (10684) لسنة (2017)

Ahl al-Suffa Journal for Sufi Studies and Heritage Sciences Vol. 3 No. 1, pp. 233-298 (June.2026)
DOI: https://doi.org/10.70703/1a0d6q83
E-ISSN 3062-4975/ ISSN 3062-4967

النَّصيحةُ الظَّاهرة لِمَن اغتَرَّ من العُلَماءِ والمُتصوِّفةِ ونَسِي الآخرة للشيخ شمس الدِّين محمَّد بن محمَّد بن محمَّد البديري الحُسَيني الشَّافعي (ت.1140هـ): دراسة وتحقيق

"AL-NAṢĪḤAH AL-ẒĀHIRAH LI-MAN IGHTARRA MIN AL-ʿULAMĀʾ WA AL-MUTAṢAWWIFAH WA NASĪ AL-ĀKHIRAH" (THE MANIFEST ADMONITION TO SCHOLARS AND SUFIS WHO HAVE BEEN DELUDED AND FORGOTTEN THE HEREAFTER): A STUDY AND CRITICAL EDITION[1]

علي محمَّد شوقي محمَّد

الباحث بمكتب إحياء التراث الإسلامي، مشيخة الأزهر، مصر

Ali Muḥammad Shawqī Muḥammad
Researcher at The Islamic Heritage Revival Office, Mashyakhat Al-Azhar, Egypt

(1) Article received: April 2026; article accepted: June 2026

الملخص

تروم هذه الدِّراسةُ إحياءَ نصٍّ تراثيٍّ يُخاطب العقولَ قبلَ أن يستميل العواطف، هو رسالة «**النَّصيحة الظاهرة لمن اغترَّ من العلماء والمتصوِّفة ونَسِيَ الآخرة**» للإمام شمس الدِّين محمَّد بن محمَّد البديري الحُسَيني الشافعي (ت.1140هـ)، وتتوسّل إلى ذلك بمنهج التحقيق العلميّ الذي يُعيد للنصّ صفاءَه في غير لَبسٍ ولا زيادة. كما تُظهِرُ الدِّراسةُ القيمةَ الفكريَّة للرسالة، وتكشِفُ عن مكانةِ مؤلِّفها في سياق عصره، بوصفِه واحدًا من الأعلام الذين جمعوا بين العِلم والنَّقد، وبين الفقه والبصيرة. وقد انتظم البحث في: مقدِّمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة؛ بُيِّن في المقدِّمة: باعثُ البحث، ووجهُ الحاجة إليه، وأهدافُه، ومنهجه، وخُطَّتُه. ثم جاء المبحث الأول تعريفًا موجزًا بالإمام البديري. والمبحث الثاني: يُعنى بدراسة الرسالة من حيث توثيقُ نسبتها، وضبطُ عنوانها، وتحليلُ منهج مؤلِّفها، مع ذكر نُسَخِها الخطيَّة، ووصف المعتمَدِ منها في التحقيق. ثم خُصِّص المبحث الثالث لإخراج النص المحقَّق إخراجًا يلتزمُ أصولَ الصِّناعة. وقد انتهت الدِّراسة إلى جملة من النتائج، في طليعتها: أن الإمام البديري كان من أعلام عصره الذين جمعوا بين رسوخ القدم في العلم وجرأة النَّقد، وأن رسالته تمثّل صوتًا إصلاحيًّا صريحًا، يُنذر الغافلين، ويُوقظ من استبدّ بهم الاغترار، في لهجةٍ لا تعرف المداراةَ على حساب الحقيقة.

Abstract

This study aims to revive a classical heritage text, *"The Manifest Admonition to Those Scholars and Sufis Who Have Been Deluded and Have Forgotten the Hereafter"* by Imām Shams al-Dīn Muḥammad al-Budayrī al-Ḥusaynī al-Shāfiʿī (d. 1140 AH), through the application of rigorous textual criticism, restoring the text's clarity and elucidating its intended meanings. The study highlights the intellectual value of the treatise and situates its author within the scholarly context of his time as a figure who combined erudition with critical insight. The research consists of an introduction, three chapters, and a conclusion. It addresses the author's biography, verifies the attribution and title of the work, analyzes its methodology, describes its manuscripts, and

presents a critically edited text in accordance with established scholarly standards. The study concludes that Imām al-Budayrī was a leading scholar of his time, distinguished by both scholarly depth and critical boldness, and that his treatise represents a clear reformist voice warning against delusion and heedlessness.

الكلمات المفتاحية: البديري– النصيحة الظاهرة– اغترار العلماء– اغترار المتصوِّفة.

Keywords: al-Budayrī; the manifest admonition; delusion of scholars; delusion of sufis.

***

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي **نسَخ** بالتوبة ذنوبَنا، **وقابَل** بالرحمة غُمُومَنا، **وحقَّق** الصَّفحَ عن جُرْمنا بعدَ جهلِنا، وأحسَن إلينا في جميع أحوالِنا، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدِنا محمَّدٍ الذي نشَر اللهُ به الدِّين، وأتمَّ به النِّعمة، وعلى آلِه وصَحبِه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

فلئن تفرَّدت النَّفسُ الإنسانيَّةُ بخصائصَ تُميِّزُها عن سائرِ الخلائق، فإنَّ أعجبَ ما تنطوي عليه هذه النَّفسُ من المتناقضاتِ هو قُدرتُها الفائقةُ على خِداع ذاتِها، والتدليسِ على ضميرِها، حتى لَتَرى القُبحَ حُسنًا، والضلالَ هُدًى، وتلك هي آفةُ الآفاتِ التي تَعارفَ الحكماءُ على تسميتها بـ«الغرور».

وبيدَ أنَّ الغرورَ داءٌ يُصيبُ العوامَّ في أمورِ معاشِهم، فإنَّ أدهى المزالقِ وأخطرَ المآزقِ أن يتسلَّل هذا الداءُ إلى صفوةِ العقولِ وأئمَّةِ القلوب؛ أعني: العلماءَ والمتصوِّفة؛ فإذا بالطبيبِ مريضٌ، وإذا بالدليلِ أعمى، وإذا بالعلمِ الذي أُنزلَ لإنارةِ البصائرِ يتحوَّلُ في يدِ المغرورِ إلى حِجابٍ صفيقٍ يطمسُ البصيرة، وإذا بالتصوُّفِ الذي شُرع لتزكيةِ الوجدانِ يُمسي مسرحًا للرياءِ، ومرتعًا للشَّهواتِ الخفيَّة.

إنَّ النَّاظرَ في رسالةِ «**النَّصيحةُ الظَّاهرة لمَن اغترَّ من العُلَماءِ والمُتصوِّفةِ ونَسِي الآخرة**» لِلعَلَّامة شمسِ الدِّين محمَّد بنِ محمَّد البديري الحُسَيني الشَّافعي (ت.1140هـ) يرى نفسَه بصددِ «مِشْرَطٍ» تشريحيٍّ دقيق، يسبرُ أغوارَ النَّفسِ البشرية، ويَقشِرُ طبقاتِ الزَّيفِ التي تتراكمُ فوقَ العقلِ والقلب.

وما أشبهَ الليلةَ بالبارحة! فإنَّنا في عصرنا الحديثِ هذا، عصرِ التباهي المعرفيِّ والرُّوحانيةِ الزائفة، لأحوجُ ما نكونُ إلى قراءةِ هذه السطور.

من هنا، ينبري البديريُّ في نصيحتِه ليقرعَ نواقيسَ الخطر، مؤكِّدًا أنَّ العبرةَ ليست بازدحامِ الرؤُوسِ بالمعلومات، ولا باختلاقِ المواجيدِ والخيالات، بل بـ"السريرةِ" حين تخلو ببارئها، وبـ"العملِ" حين يمتحنُه واقعُ الحياة.

ومن هذا المنطلَقِ العميق، الذي يلامسُ وَتَرًا حسَّاسًا في بنيةِ المجتمَع الدينيِّ والعِلميِّ،

نبَعت فكرةُ إخراجِ هذا النَّصِّ التراثيِّ النَّفيسِ إلى النور، في حُلَّةٍ أكاديميةٍ محقَّقةٍ، لتكونَ هذه الدراسةُ إضافةً رصينةً للمكتبةِ الإسلاميَّةِ والإنسانيَّة، وذلك وفقَ المحدَّداتِ المنهجيَّةِ الآتية:

أولًا: أهميَّةُ البحث:

تنبثقُ أهميَّةُ هذا البحث من محوريين أساسيَّين:

1. القيمة العلميَّةُ والتاريخيَّةُ للمخطوط: يُمثِّلُ هذا النَّصُّ حلقةً مُهمَّةً في سلسلةِ «الأدب النَّقديِّ والإصلاحيِّ» داخلِ المنظومة الإسلاميَّة، فهو يُوثِّقُ لنمطٍ راقٍ من النَّقدِ الذاتيِّ الذي مارسته النُّخبةُ المصلحةُ في كثير من أزمنة أمَّتنا الإسلاميَّة العظيمة.

2. التوظيفُ الواعي للتُّراث السلوكي: يُبرز البحثُ كيف استطاع العلماءُ المتأخِّرون -كالبديري- إعادةَ إنتاجِ، وإحياءِ التُّراثِ المتقدِّمِ -ككتابات الغزاليّ- بأسلوبٍ مُكثَّفٍ ومُنتقًى، يتناسبُ مع أمراضِ عَصرِهم، مما يدلُّ على حيويَّةِ النصِّ التراثيِّ، وقابليَّتِه للتجدُّد.

ثانيًا: أسبابُ اختيارِ البحث:

لقد تضافرت عِدَّةُ دوافعَ لاختيارِ هذه الرِّسالةِ وتحقيقِها، من أبرزها:

1. الحاجةُ المعاصرةُ لتقويمِ المسار الدَّعَويِّ والأكاديمي: لما كان العصرُ الحاضر يشهدُ طفرةً في ادعاءِ المعرفةِ، والتصدرِ بغير حق، كان لزامًا استحضارُ هذه المواثيقِ الأخلاقيةِ التي تضبطُ بُوصلةَ العالِمِ وطالبِ العلم، وتُعرِّي مكامنَ الخلل في النوايا والمقاصد.

2. مكانة المُؤلِّف: إنَّ الإمام البديريَّ ليس مجردَ ناقلٍ، بل هو إمامٌ شافعيٌّ مُشاركٌ في الفنون، أشعريٌّ شاذُليٌّ نقشبنديٌّ، يجمعُ بين شريعةِ الظاهرِ وحقيقةِ الباطن، مما يُضفي على نقدِه موثوقيَّةً كبرى، فهو يَنقُدُ من داخلِ الدَّار لا من خارجها.

3. نُدرةُ العنايةِ بالنصوص الإصلاحية الموجزة: غالبًا ما تنصرفُ هِممُ الباحثين إلى المطوَّلات، في حين أن هذه الرسائلَ الوجيزةَ -كـ«النصيحة الظاهرة»- تحملُ كبسولاتٍ مركَّزةً، وتُعدُّ دساتيرَ يوميَّةً تصلحُ للمراجعة والمحاسبة، كما نص المؤلِّف نفسُه في مقدِّمته على اتخاذِها موعظةً يوميَّة.

ثالثًا: أهداف البحث:

يرمي هذا البحث، من خلال التحقيق والدراسة، إلى تحقيقِ جُملةٍ من الأهدافِ العِلميَّة:

1. **الضبط العِلمي للنصّ**: إخراجُ النصِّ المحقَّقِ سليمًا من التصحيف والتحريف، ومقابلةُ نُسَخِه، وتخريجُ أحاديثه وآثاره، وتوثيقُ نقولاته.

2. **الكشف عن شبكة المصادر**: تتبُّعُ الإحالات والمصادر التي اعتمد عليها المؤلف، مما يكشفُ عن طبيعةِ التكوينِ الثقافيّ لعلماءِ القرن الثاني عشر الهجري.

3. **التحليل المضموني للغرور**: تقديمُ دراسةٍ تحليليةٍ لمفهوم «الغرور» وتصنيفاته الفئوية (علماء الكلام، الفقهاء، الوعاظ، أدعياء التصوف) كما عرضها النصُّ، لتكون مقدِّمة لإسقاطِ ذلك الإطارِ النظريّ على المشكلاتِ المعرفيَّةِ والسلوكيَّةِ المعاصرة.

رابعًا: منهج البحث:

التزمتُ في الجزء الدِّراسي من هذا البحث بالمنهج الوصفي التحليلي؛ الذي يُعنَى بتحليل الجزئيَّات ووصفِها بهدف الوصول إلى النتائج المطلوبة. كما اعتمدتُ على المنهج التاريخيّ، وبخاصَّةٍ في ترجمة الشيخ البديري.

وأما في **الجزء التحقيقي**: فقد سرتُ وفق الخطوات الآتية:

1. نَسختُ نصَّ الرسالة من النسخة (أ)، ثم قابلتُ المنسوخ على النُّسخة (ب)، وأثبتُّ الفروقَ المؤثِّرةَ في الهامش.

2. رجَّحت بين الفروق محتكمًا إلى المصادر، والقواعد اللُّغوية، والسِّياق.

3. قابلتُ النُّصوصَ التي نقلها المؤلِّف على مصادرها الأصليَّة، مع عزوها، وأثبتُّ أهمَّ الفروق.

4. اتبعتُ المنهج التلفيقيَّ بين النُّسخ، ولم أُثبِت فروق النُّسخ في عبارات الدعاء والترضي ونحوهما.

5. عزوتُ الآيات القرآنية، مع كتابتها بالرسم العثماني.

6. خرَّجتُ الأحاديث والآثار الواردة بالنص المحقَّق والحواشي، وفق النظام المعتمَد.

7. عزو النقول من الكتب التي اعتمد عليها البديري، وإن لم يصرّح باسمها، قدرَ

الطاقة.

6. التعريف ببعض الأعلام والمواضع الواردة في النصِّ المحقَّق، بإيجاز.

7. بيان معنى ما رأيتُ أنه يحتاجُ إلى بيانٍ من الألفاظِ الواردةِ بالنَّص. وهو قليل.

8. قمتُ بتقسيم النصِّ إلى فقرات، مع وضع علامات الترقيم المناسبة؛ بما يُعينُ على قراءة النَّصِّ، وتفهُّمه على الوجهِ الصَّحيح.

9. ضبط ما أشكل من البنية والإعراب، مع ضبط النَّصِّ النَّبويِّ القوليِّ، والأشعارِ ضبطًا شبهَ كامل.

خطة البحث:

ينقسم هذا البحث إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

مقدمة: تشتمل على أهمِّيَّة البحث وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومنهجه، وخُطَّته.

المبحث الأول: ترجمة المؤلف.

المبحث الثاني: الرسالة المحقَّقة؛ عرض وتحليل.

المبحث الثالث: النصُّ المحقَّق.

الخاتمة: تشتمل على أهمِّ النَّتائج والتَّوصيات.

***

المبحث الأول
ترجمة المؤلف

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بشمس الدِّين البديري:

1. اسمُه: محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن أحمد بن حسَن بن عليٍّ بن سلامة بن بدير بن محمَّد بن يوسف[2].

2. مولِدُه: لم تذكر لنا المصادرُ سنةَ ولادة الشيخ شمس الدِّين البديري، ولا كيف نشأ، غير أنها أشارت إلى أنَّه نشأ في «دمياط»، وتعلَّم فيها[3].

3. أسرتُه: تتميَّز أسرةُ الشيخ شمس الدِّين البديري بكونها أسرةً عِلميَّة، صوفيَّة، وبكونهم من ذريَّة سيِّدنا الحُسَين بن عليٍّ رضي الله تعالى عنهم.

جدُّ أبيه الأوَّل: هو الوليُّ الصالحُ ذو الكرامات الكثيرة: شهاب الدِّين أحمد.

ابن: العلَّامة الفهَّامة الشيخ: حسن، تلميذ شيخ الإسلام زكريَّا الأنصاري.

ابن: العارف بالله تعالى الشيخ: علي.

ابن: الشيخ الصالح: سلامة.

ابن: الولي الكبير ذي العلم الشهير: الشيخ خلف الدمياطي البديري، نسبة إلى أبيه: **بدير بن محمد بن يوسف**[4].

وقد ترجم لجدِّه (بدير) العلَّامةُ الشيخُ عبد الرَّءُوف المناويُّ رحمه الله في «**طبقاته**»[5] فقال: «كان عابدًا، زاهدًا، صوفيًّا، عارفًا، مُتمكِّنًا، اعترَف له بذلك أولياءُ زمنِه، وأذعنوا له، وقصدوه من الآفاق، وله أحوال عجيبة وكرامات غريبة ... مات سنةَ: خمسين وست

---

(2) شمس الدين محمد بن محمد بن محمد البديري، «الجواهر الغوالي في ذكر الأسانيد العوالي»، مخطوط بـ«الأزهرية»، برقم (40588)، وعبد الرحمن بن حسن، الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، (بيروت: دار الجيل، د.ط.ت)، 140/1.

(3) كما ستلحظُه فيما سيأتي.

(4) يراجع: المصدران السابقان.

(5) زين الدِّين محمد عبد الرَّءُوف المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، المسمَّى: الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد أديب، (بيروت: دار صادر، 1999م)، 395/2، برقم (493).

مئة، ...».

4. نسبتُه: ذكرت المصادر للشيخ شمس الدِّين البديري نِسَبًا متعدِّدة، وهي كما يلي:

«**البديري**»: نسبة إلى جدِّه الأعلى: بدير بن **محمَّد** بن يُوسُف[6]، و«بدير» إن كان تصغيرًا لـ«بدر» فقياس الثلاثيِّ أن يُصغَّر على «فُعَيل»[7]، وعليه يكون الاسم «بدير»، والنسبةُ إليه: «البديريّ»، ولم أقف على ما يُفِيدُني اليقينَ في ذلك؛ ولذا لم أتسرَّع في ضبطه بالضمِّ أو غيرِه.

«**الحُسَيني**»: حيث إنَّه ينتمي إلى أسرةٍ يعودُ نسبُها إلى ذريَّة سيِّدنا الحُسَين بن عليٍّ رضي الله تعالى عنهم، كما ذكرت آنفًا.

«**الأزهري**»: نسبة إلى الأزهر الشريف؛ حيث تعلَّم في «جامعه» وأخذ عن علمائه.

«**الشافعيّ**»[8]: نِسبة إلى مذهب الإمام الشافعيِّ (ت.204هـ) رضي الله عنه.

«**الأشعري**»: نسبة إلى الإمام أبي الحسن الأشعريِّ (ت.324هـ) رضي الله عنه.

«**الشَّاذُلي**»: نسبة إلى الإمام الشريف أبي الحسن الشاذُلي، تقي الدِّين علي بن عبد الله بن عبد الجبار شيخ «الطائفة الشاذلية» (ت.656هـ).

«**النَّقشبندي**» نسبة إلى الإمام بهاء الدِّين **محمَّد** بن **محمَّد** الحُسَيني البُخاري المعروف بـ«نقشبند» (ت.791هـ).

«**الدِّمياطي**»: نسبة إلى مدينة «دمياط» بـ«مصر»[9].

5. لقبُه: ذكرت مصادر الترجمة لقبَين للشيخ شمس الدِّين البديري، وهما: «**شمس**

---

(6) البديري، «الجواهر الغوالي»، مخطوط بـ«الأزهرية»، برقم (40588)، والجبرتي، تاريخ عجائب الآثار، 140/1.

(7) يراجع: بدر الدين حسن بن قاسم المرادي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط1، 1428هـ)، 1420/3.

(8) نصَّ عليه البديري نفسه في: «الجواهر الغوالي»، (مخطوط)، (97/ب).

(9) نصَّ على النِّسب الأربعة الأخيرة البديريُّ نفسه في: «الجواهر الغوالي»، (مخطوط)، (97/ب).

الدِّين»[10]، و«**ابن الميت**»[11].

6. كنيته: «أبو حامد»[12].

7. وفاتُه: توفِّي المترجَم بـ«مصر» سنةَ: (1140هـ) [13].

المطلب الثاني: حياة شمس الدِّين البديري العِلميَّة:

1. شيوخُه:

من أجلِّ وأشهر شيوخه:

1. المحدِّث المقرئ شمس الدِّين محمد بن قاسم بن إسماعيل البقري (ت.1111هـ)[14]؛ أخذ عليه عِلمَي التجويد والقراءات بصحن «الجامع الأزهر»[15].
2. الشيخ العلَّامة نور الدِّين علي بن علي الشَّبرامَلِّسي الشافعي (ت.١٠٨٧هـ)[16]، أخذ البديري عنه علم الفقه[17].

2. تلاميذُه:

تتلمَذ على يدي الإمام البديري نخبة من التلاميذ تلقوا عنه في مختلف العلوم، ومن أشهرهم:

---

(10) الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار، 140/1.

(11) لقَّبه بهذا اللَّقب تلميذُه الشيخ محمد بن حسن السَّمنُّودي، المعروف بـ«المنيّر»، كما وجدتُه بخطِّه على طرَّة نسخة من ثبَت الشيخ شمس الدِّين البديري المسمَّى بـ«الجواهر الغوالي في ذكر الأسانيد العوالي»، مخطوط بـ«الأزهرية» برقم (40588).

(12) كنَّاه بها: الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار، 140/1.

(13) الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار، 141/1.

(14) الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار، 116/1.

(15) البديري، الجواهر الغوالي، (20/ب).

(16) محمد أمين بن فضل الله المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، (بيروت: دار صادر، د.ط.ت)، 174/3- 177.

(17) البديري، الجواهر الغوالي، (20/ب).

1. الأستاذ الكبير، والعارف الربَّاني مصطفى بن كمال الدِّين بن عليٍّ البكريّ الصِّديقيّ، الخلوتي طريقة، الحنفي مذهبًا، (ت.١١٦٢هـ)[18].

2. الإمام المتفنِّن الضابط المعمَّر الشيخ محمد بن حسن السَّمنُّودي، المعروف بـ«المنيّر» (ت.1199هـ)[19].

المطلب الثالث: آثار شمس الدِّين البديري:

1. مؤلفاتُه:

صنف الدمياطي كتبًا كثيرة، دلَّت على سعة ثقافته، ومن أهمِّ هذه المؤلفات ما يلي:

1. «**إرشاد العمال إلى ما ينبغي في يوم عاشوراء وغيره من الأعمال**» (مطبوع).
2. «**بلغه المراد في التحذير من الافتتان بالأموال والأولاد**» (مطبوع).
3. «**الجواهر الغوالي في بيان الأسانيد العوالي**» (مخطوط)[20].
4. «**صفوة الملح بشرح البيقونية في المصطلح**» (مطبوع).
5. «**المشكاه الفتحية على الشمعة المضية في علم العربية**» (مطبوع).
6. «**نحور الحور المقصورات على عقود السمرقندي في الاستعارات**» (مخطوط)[21].
7. «**الوسيلة الظاهرة في الصلاة والسلام على سيد أهل الدنيا والآخرة**» (مخطوط)[22].
8. «**النصيحة الظاهرة لمن اغتر من العلماء والمتصوفة ونسي الآخرة**» وهو

(18) محمد خليل الحسيني، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1408هـ)، 190/1- 199.

(19) الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار، 140/1.

(20) له نسخة في «الأزهرية» برقم (131025).

(21) له نسخة في «الأزهرية» برقم (131716).

(22) له نسخة في «الأزهرية» برقم (131025).

الكتاب الذي بين يديك.

المطلب الرابع: منزلةُ شمس الدِّين البديري، وثناءُ العلماء عليه:

قال الجبرتي[23]: «الشيخ الإمام العالم العلامة مفرد الزمان ووحيد الأوان».

وقال في موطن آخر[24]: «وألَّف، وروى، وحدَّث، وأفاد، وأجاد».

***

(23) الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار، 140/1.

(24) المصدر نفسه.

المبحث الثاني
الرسالة المحقَّقة؛ عرض وتحليل

*** توثيق صحة نسبة الرسالة إلى البديري:**

دلَّت القرائن على صحَّة نسبة هذه الرسالة «**النَّصيحةُ الظَّاهرة لمَن اغترَّ من العُلَماءِ والمُتصوِّفةِ ونَسِي الآخرة**» للبديري؛ ومنها:

1. أن صفحات عناوين النُّسَخ الأربع التي وقفت عليها حملت نفس العنوان مع نسبتهما للبديري.

2. أن صاحب «هديَّة العارفين»[25] قد ذكرت هذا العنوان منسوبًا إلى البديري.

*** توثيق عنوان الرسالة:**

ثبت لديَّ أن عنوان هذا الكتاب هو «**النَّصيحةُ الظَّاهرة لمَن اغترَّ من العُلَماءِ والمُتصوِّفةِ ونَسِي الآخرة**»، وعلى هذا اتفقت صفحات عناوين النُّسَخ الأربع التي وقفت عليها، غير أن نسخة أسعد أفندي قد أضافت لفظ: «بالدنيا» فصار العنوان فيها هكذا: «**النَّصيحةُ الظَّاهرة لمَن اغترَّ من العُلَماءِ والمُتصوِّفةِ [بالدُّنيا] ونَسِي الآخرة**»، وبهذا أخذ صاحب «**هديَّة العارفين**»[26].

*** موضوع الرسالة:**

تنتمي هذه الرسالة إلى "أدب المواعظ والرقائق والتزكية"، وهي رسالة استخلصها المؤلِّفُ من كتاب «**الكشف المُبِين في بيانِ غُرورِ الخَلقِ أجمعين**» المسمَّى بـ«**أصناف المغرورين**» للإمام أبي حامد الغزاليّ (ت.505هـ)، وبنى عليها بما يتفقُ مع زمنِه، كتَبها لنقد ظاهرة الغرور الدِّيني، وهي آفة قلبيَّة واجتماعيَّة خطيرة تُصيب «النخبة الدينيَّة» في المجتمع الإسلاميّ.

ولقد حصَر المؤلِّفُ موضوعه عمدًا في فئتين فقط هما «العلماء» و«المتصوفة»، متجاوزًا باقي أصناف النَّاس، مبرِّرًا ذلك صراحة بقوله: «لأنَّ غُرورَهما أعظمُ شيءٍ يحصُلُ

(25) إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (إسطنبول: وكالة المعارف، 1951م)، 319/2.

(26) البغدادي، هدية العارفين، 319/2.

به البأسُ»؛ فالرِّسالة تُعالج أثرَ فساد القدوة على المجتمع، انطلاقًا من المقولة التي أوردها: «احذَروا فتنةَ العابدِ الجاهلِ والعالِمِ الفاسقِ؛ فإنَّ فتنتَهما فتنةٌ لكلِّ مَفتونٍ».

*** منهج البديري في الرسالة:**

اتبع المؤلف في هذه الرسالة منهجًا استقرائيًّا، انتقائيًّا، نقديًّا، تربويًّا، يمكن تفصيل معالمه في النقاط الآتية:

1. صرّح المؤلف منذ البداية أن منهجه في هذه الرسالة هو «النصيحة»، ولكنه حصرها في فئتين فقط هما (العلماء والمتصوفة)؛ مستندًا إلى قاعدة: أن فساد النخبة يؤدي إلى فساد العوام.

2. لم يكتب المؤلف رسالته لمجرَّد الردِّ على الخصوم، بل جعلها وثيقة لمحاسبة نفسِه أوَّلًا، وقد ذكر ذلك في مقدّمته، وهذا يُضفي على منهجه طابعًا صوفيًّا صادقًا يتبرَّأ من الغرور الذي يُحذّر منه.

3. اتخذ المؤلف من كتاب الإمام الغزالي «**الكشف المبين في بيان غرور الخلق أجمعين**» متنًا أساسيًّا لرسالته. ومنهجه هنا ليس النقل الحرفي الكامل، بل الانتخاب والتلخيص المستهدِف لأقسام محددة تخدم فكرته.

4. لم يكتفِ المؤلف بنصوص الغزالي، بل صرح بمنهجه الإضافي: «وأضفتُ إليه ما يُناسِبُ ذلك المقامَ ممَّا هو مأثورٌ عن أئمَّةٍ أعلامٍ»؛ فقد وشّح كلام الغزالي بنصوص من الحديث النبوي، وآثار الصحابة؛ كعمر بن الخطاب، وأبي الدرداء، وأقوال أئمة التصوُّف؛ كالحسن البصري، والجنيد، وأقوال أئمة الفقه؛ كالرملي، والنووي، وابن حجر.

5. بدأ المؤلِّف ببيان تصنيف الخلق المكلفين إلى أقسام، ليصل إلى أن الغرور لازم للجميع إلا مَن عصمه الله، وتناول «العلماء» وقسّمهم إلى تسع فرق، ثم تناول «المتصوفة» وقسّمهم إلى تسع فرق، وزاد على المتصوِّفة فرقةً عاشرة حدثت في زمنِه لم يذكرها الغزالي في معالجة غرور المتصوِّفة.

وهذا من أهم الملامح المنهجية في النصِّ؛ حيث تدلُّ على أن المؤلِّف –والمؤلفين الكبارَ من أمثالِه– لم يكن أسير عصر الإمام الغزالي (ت.505هـ) أو غيرِه، بل طبّق المنهجَ النقديَّ على عصرِه هو أيضًا.

6. عندما ينقل المؤلف نصوص الغزالي أو غيره، ويُريد أن يتدخل بالتعليق أو الإضافة، يستخدم كلمة «قُلتُ»، وهذا منهج علمي رصين في التراث العربي يفصل بين كلام المنقُول عنه وكلام النَّاقل.

7. استنتج المؤلف –وهي استنتاجات تتوافق مع المدرسة الأشعرية الصوفية– أنه لا تصوف بلا فقه، ولا فقه بلا تزكية؛ ولذلك نراه ينتقد الفقهاء المجادلين التاركين لتزكية القلوب، وفي الوقت نفسه ينتقد المتصوفة التاركين للأحكام الشرعية أو المتساهلين فيها.

8. رغم صراحته في نقد العلماء والمشايخ الزائفين، احتاط المؤلف منهجيًّا في نهاية قسم العلماء لئلا يُساء فهمه، فوضع تنبيهًا قاعديًّا مهمًا، قال فيه: وليس المرادُ أن تُفَتِّشَ عُيوبَ غيرِك من العُلَماء، وتَظُنَّ بنَفسِك خيرًا، وبهم سُوءًا فتَقَعَ في الرَّدى؛ لأنَّ هذا عينُ الهَلاكِ والفَسادِ، ...؛ فسَعيُك في صلاحِ نفسِك أحَقُّ ...»، ثم أورد أبياتًا في تعظيم قدر العلماء الحقيقيِّين، وهذا التوازن منهجي بامتياز يمنع القارئ من السقوط في فخ الطعن في الرموز الدينيَّة.

9. ختم رسالته بمنهج الإقرار بالتقصير والخوف من أن يكون كمن يأمر بالمعروف ولا يأتيه، متمثلًا بأبيات شعرية تؤكد هذا المعنى، رحمه الله وطيَّب ثراه.

*** سبب تأليف الرسالة:**

تتنوع أسباب التأليف في هذا النص بين أسباب منصوصة صراحةً في ديباجة المخطوط وثناياه، وأسباب ضمنية يُستدل عليها من سياق النص، وطبيعة الإضافات التي ألحقها المؤلف بالكتاب الأصليِّ «أصنافِ المغرورين» للإمام الغزالي، ويمكن تفصيل ذلك في المحاور الآتية:

1. السبب الذاتي (تهذيب النفس ومحاسبتها): نصَّ المؤلِّف صراحةً في مُستَهَلِّ رسالته على أن الغرض الأول هو غرضٌ شخصي بحت يتعلق برياضته الروحية الخاصة، وهذا ملمح منهجي أصيل في التراث الإسلامي التصوفي؛ حيث يكتب العالم الرسالة لتكون سوطًا يقرع به نفسه قبل نفوس الآخرين.

2. السبب الإصلاحي (النصيحة): صرَّح المؤلِّف أنَّ الرسالة «نصيحةٌ ظاهرةٌ لمن اغترَّ من العلماءِ والمتصوِّفةِ ونَسِي الآخرةَ»؛ فهو يرى أن هناك حالة من الاغترار –بالعلم

أو العبادة– قد تفشت بين خواص الأمة، فكان لزامًا عليه أن يختصر كتاب الإمام الغزالي ليُقرِّبَه لطُلَّاب النَّجاة.

4. السبب التربوي (ضبط أساليب النَّقد):

ففي منتصف الرسالة، وتحت وطأة السرد القاسي لعيوب الفئات، التفت المؤلف للمتلقِّي ليضبط قصدَه من قراءة الرسالة، قائلًا: « أنَّ المقصودَ بيانُ هذه الفِرَقِ وأحوالِها؛ لتَتَأَمَّلَها لنفسِك مُلِيمًا، ...، وليس المرادُ أن تُفَتِّشَ عُيوبَ غيرِك من العُلَماء، وتَظُنَّ بنَفسِك خيرًا، وبهم سُوءًا»؛ فالرسالة أُلفت لتكون «مرآة عاكسة» لعيوب القارئ، لا «عدسة مكبِّرة» لعيوب الآخرين.

*** تاريخ تأليف الرسالة:**

نصّ المؤلِّف في خاتمة الكتاب صراحةً على تاريخ الانتهاء من تأليف رسالته (23)، من شهر الله المحرم، لسنة: 1122 هـ، ويوافق هذا التاريخ تقريبًا: (24) من مارس، لسنة: 1710م.

وتاريخ التأليف (1122هـ) ينسجم تمامًا مع السياق التاريخي للأعلام والنقولات الواردة في النص، وينسجم تمامًا مع السياق الثقافي لعصر التأليف أوائل القرن: (12هـ)؛ حيث كُتبت هذه الرسالة في العصر العثماني المتأخر، وهي فترة شهدت انتشارًا واسعًا للطرق الصوفية، رافقها في بعض الأحيان دخول ممارسات وسلوكيات انتقدها العلماء؛ هذا السياق يبرر الدوافع التي جعلت المؤلف يعود إلى تراث الإمام الغزالي لينتخب منه ما يعالج به أدواء عصره وغرور بعض علماء ومتصوِّفة زمانه.

*** مصادر البديري في رسالته:**

يمكن تصنيف مصادر المؤلف وحصرها في المحاور الآتية:

أولًا: المصدر الأساسي:

صرّح المؤلف في ديباجة رسالته أن نصه هو انتخاب واختصار من عملٍ أكبر، وهو: كتاب «**الكشف والتبيين عن غرور الخلق أجمعين**» وقد سمَّاه في بداية الرسالة «**الكشف المبين**»: للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، وقد شكَّل هذا الكتاب الهيكل العظمي للرسالة.

ثانيًا: المصادر المساعدة:

أ. مصادر السنة النبوية، وشملت: «صحيح مسلم»، و«سنن الترمذي»، و«سنن ابن ماجه»، ومعاجم الطبراني: «الكبير» و«الصغير»، و«شُعب الإيمان» و«السنن» للبيهقي، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم، و«الترغيب والترهيب» للحافظ زكي الدِّين المنذري، و«الجامع الصغير من حديث البشير النذير» للإمام السيوطي، وشرحه «فيض القدير» للمناوي.

ب. المصادر الفقهية:

«فتاوى الإمام النووي»، و«فتح الرحمن بشرح زبد ابن رسلان» لشهاب الدِّين الرملي، و«نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج» لشمس الدِّين الرَّملي، «تحفة المحتاج في شرح المنهاج» لابن حجر الهيتمي.

جـ.مصادر التصوف والمواعظ:

«روض الرياحين في حكايات الصالحين» للشيخ عبد الله اليافعي، و«طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب» للإمام الديريني، و«المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» للقسطلاني.

استنتاجات تحليلية حول مصادر المؤلف:

1. الإطار الزمني للمصادر: بالنظر إلى المصادر المعتمدة، وتاريخ نسخ أو تأليف الرسالة المذكور (سنة: 1122هـ)، يتضح أن المؤلف متأخر نسبيًّا، مما أتاح له استيعاب عصارة المدارس الفقهية والصوفية المتأخرة، وخاصة المدرسة الشافعية المصرية الشامية.

2. المزج بين الفقه والتصوف: يتجلى من خلال مصادره أنه يمثل تيار التصوف المعتدل، فهو يعتمد على تلك المصادر الفقهيَّة في محاكمة سلوكيات التصوف الخالي من الانضباط الشرعي والفقهي.

3. منهج العزو: تميز المؤلف بالأمانة العلمية والدقة الجيدة في العزو؛ فكثيرًا ما يذكر اسم الكتاب، واسم المؤلف، ومناسبة النص، ويميّز بوضوح بين النقل الحرفي والاختصار.

*** وصف النسخ الخطية المعتمَدة:**

أوقفني زميلي الباحث الأستاذ: نادي فتحي مجلي –جزاه الله خيرًا– على ثلاث نُسَخ

خطية لهذه الرِّسالة جميعُها في «المكتبة الأزهرية»، ثم يسَّر الله لي العثورَ على نسخةٍ أخرى بـ«مكتبة أسعد أفندي» بـ«تركيا»؛ فصارت النُّسَخ أربعًا:

أمَّا نُسَخ الأزهرية:

1. فبرقم (131216)، نُسِخت في حياة المؤلِّف؛ لما سيأتي.
2. وبرقم (132879)، نُسِخت سنةَ: 1164هـ؛ بعد وفاة المؤلِّف بـ(24) سنةً تقريبًا.
3. وبرقم (53397)، نسخها: إبراهيم بن أحمد الرافعي، سنةَ: 1306هـ؛ بعد وفاة المؤلِّف بـ(166) سنةً تقريبًا.

وأمَّا نُسخة أسعد أفندي:

4. فبرقم (1689)، وليس عليها تاريخ نَسخ، إلا أنها نُسِخت بعد وفاة المؤلِّف؛ لما سيأتي.

وقد اعتمدتُ في تحقيق هذا النصِّ على نُسختَين فقط: النسخة رقم (1) ورمزت لها بـ(أ)، والنسخة رقم (4) ورمزت لها بـ(ب).

وتركت النسخة رقم (2)؛ لأنني قابَلتُ طرفًا كبيرًا منها فوجدتها كثيرة التصحيف والتحريف والسقط، ورأيت أن إثبات فروقها إثقالٌ للهوامش بلا فائدة.

وتركت النسخة رقم (3)؛ لتأخُّر نَسخِها بعد وفاة المؤلِّف أكثر من قرن ونصف، ولأنني وجدتُ في النسختين المختارتين الكفاية.

وصف النُّسخة الأولى، المرموزُ لها بالرمز (أ):

التي هي من محفوظات «المكتبة الأزهرية»، برقم (131216).

عنوانها: «النَّصيحةُ الظَّاهرة لمَن اغترَّ من العُلَماءِ والمُتصوِّفةِ ونَسِي الآخرة»، وهو موافق لما ذكره المؤلِّف في مقدِّمته.

وصفها: هي نسخة كاملة، مكتوبة بخطٍّ حسن، ولم يدوِّن ناسخُها اسمَه، ولا تاريخَ نسخِها، إلا أنها نُسِخت في حياة المؤلِّف؛ بدليل الدعاء له على صفحة العنوان بلفظ: «لطَف اللهُ تعالى به في الدُّنيا والآخرة». تقع في (17) لوحة، ومسطرة الوجه الواحد (19) سطرًا تقريبًا.

وصف النُّسخة الثانية، المرموز لها بالرَّمز (ب):

التي هي من محفوظات «مكتبة أسعد أفندي» بـ«تركيا»، برقم (332).

عنوانها: عنوانها: «النَّصيحةُ الظَّاهرة لمَن اغترَّ من العُلَماءِ والمُتصوِّفةِ بالدُّنيا ونَسِي الآخرة»؛ فزاد هنا لفظ: «بالدنيا».

وصفها: هي نسخة كاملة، مكتوبة بخطٍّ معتاد، ولم يدوِّن ناسخُها اسمَه، ولا تاريخَ نسخِها، إلا أنها نُسِخت بعد وفاة المؤلِّف؛ بدليل الدعاء له على صفحة العنوان بلفظ: «رحمه الله». تقع في (13) لوحة، ومسطرة الوجه الواحد (26) سطرًا تقريبًا.

وهذه النُّسخَة تتميَّز بأمور مهمَّة، منها: أنَّها محرَّرة مُتقَنة، مقابلة على أكثر من نسخة، ولناسخها عليها تعليقاتٌ وإلحاقاتٌ بخطِّه في هوامشِها، ويبدو لي أنَّ ناسخها كان عالمًا أو طالبَ علم مُتقِن.

***

*** نماذج مصورة من النُّسخ الخطية المعتمَدة**

صفحة عنوان النسخة (أ):

بداية نص «النصيحة الظاهرة» في النسخة (أ):

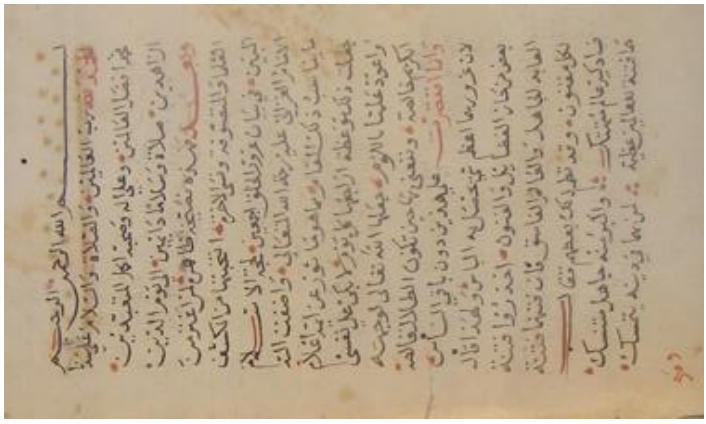

نهاية نص «النصيحة الظاهرة» في النسخة (أ):

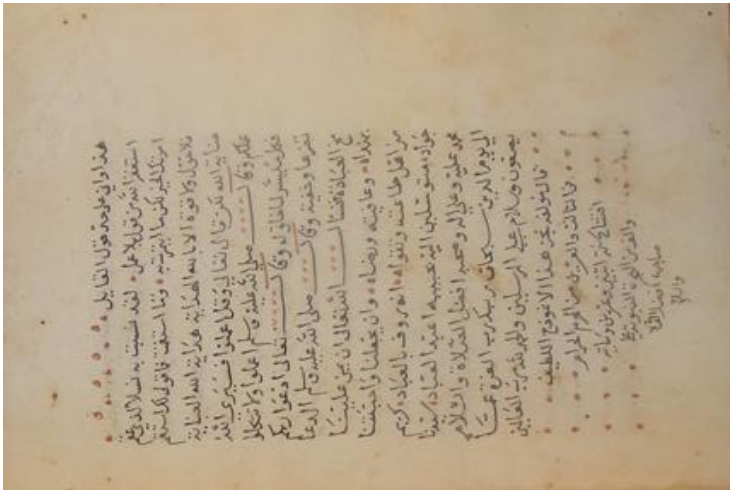

صفحة عنوان النسخة (ب):

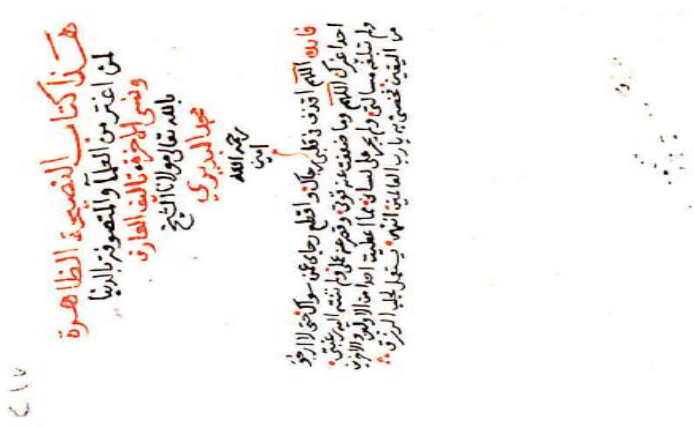

بداية النص في النسخة (ب):

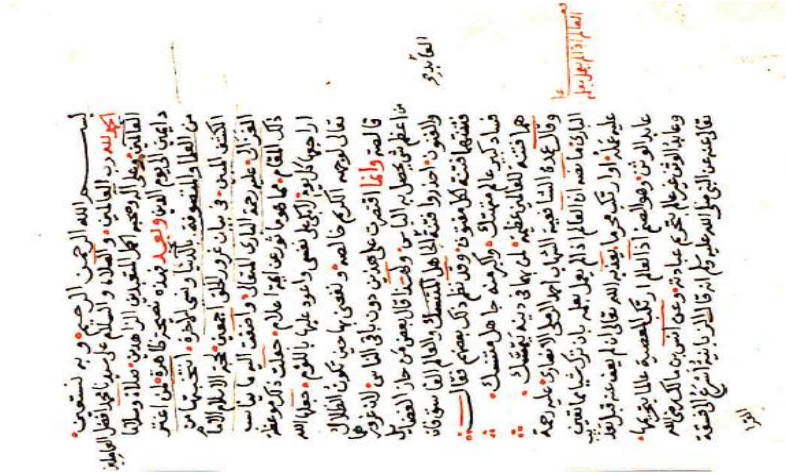

نهاية النص في النسخة (ب):

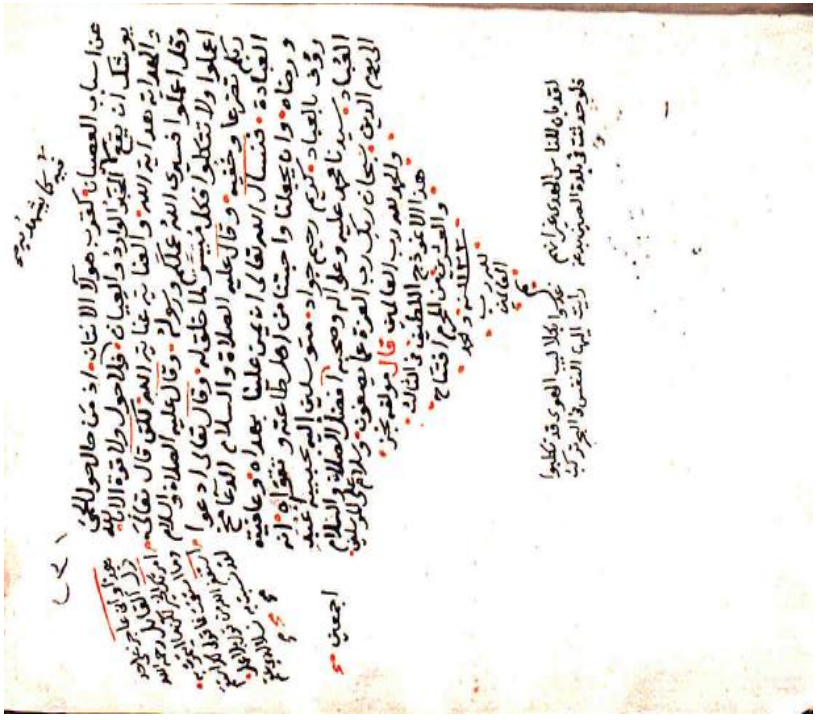

***

المبحث الثالث
النَّصُّ المحقَّق
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمين، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدِنا محمدٍ أفضلِ العامِلين العالِمين، وعلى آلِه وصحبِه أكمَلِ المتعبِّدين الزَّاهدِين، صلاةً وسلامًا دائمَين إلى يومِ الدِّين.

وبعدُ؛ فهذه نصيحةٌ ظاهرةٌ لمن اغترَّ من العلماءِ والمتصوِّفةِ ونَسِي الآخرةَ، انتخبتُها من «**الكشف المُبِين**[27] **في بيانِ غُرورِ الخَلقِ أجمعين**» لحُجَّةِ الإسلامِ الإمامِ الغزاليّ – عليه رحمةُ الباري[28] المتعالي– وأضفتُ إليه ما يُناسِبُ ذلك المقامَ ممَّا هو مأثورٌ عن أئمَّةٍ أعلامٍ؛ جعلتُ ذلك موعظةً أُراجِعُها كلَّ يومٍ؛ لأبكيَ على نفسِي وأعودَ عليها باللَّومِ، جعَلها اللهُ تعالى لوجهِه الكريمِ خالصةً، ونفعني بها حينَ تكونُ الظِّلالُ قالصةً[29].

وإنَّما اقتصرتُ على هذَين دونَ باقي النَّاس؛ لأنَّ غُرورَهما أعظمُ شيءٍ يحصُلُ به البأسُ، ولهذا قال بعضُ مَن حاز الفضائلَ والفنونَ[30]: «احذَروا فتنةَ العابدِ الجاهلِ والعالِمِ الفاسقِ؛ فإنَّ فتنتَهما فتنةٌ لكلِّ مَفتونٍ».

وقد نظَم ذلك بعضُهم[31] فقال:

فَسَادٌ كَبِيْرٌ عَالِمٌ مُتَهَتِّك *** وَأَكْبَرُ مِنْهُ جَاهِلٌ مُتَنَسِّك

---

(27) «المبين» سيأتي تغييرها في كلام المؤلِّف إلى: «والتبيين» في مطلع نقل المؤلِّف نصوص الإمام الغزاليّ.

(28) «الباري» في (أ): «الله».

(29) أي: مُنضَمَّة أو مُنقبِضة أو ناقصة. يراجع: محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، الطبعة الخامسة، (بيروت: المكتبة العصرية، 1420هـ- 1999م)، ص٢٥٩، مادة: (ق.ل.ص)؛ وابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: مجموعة من اللغويّين، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار صادر، 1414هـ)، 97/7.

(30) وهو الإمام سفيانُ الثوريُّ رحمه الله؛ كما رواه عنه عبدُ الله بن المبارك في: الزهد والرقائق، ملحق رواية أبي نعيم، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشرة محمد عفيف الزعبي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت)، ص18؛ ومن طريقه: محمد بن الحسين الآجري في: أخلاق العلماء، تصحيح: إسماعيل الأنصاري، (السعودية: البحوث العلمية والإفتاء، 1398هـ)، ص87.

(31) قيل: هو الإمامُ برهان الدِّين المرغيناني، علي بن أبي بكر، صاحبُ «الهداية»؛ كما نقَله محمود بن سليمان الكَفَويُّ في: كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الطبعة الأولى، (إسطنبول: مكتبة الإرشاد، 1438هـ)، 150/3، وهذا ضعيف؛ لأنَّ تلميذَ صاحب «الهداية»

هُمَا فِتْنَةٌ لِلْعَالَمِيْنَ عَظِيْمَةٌ *** لِمَنْ بِهِمَا فِي دِيْنِهِ يَتَمَسَّك [2/أ]

وقال عُمدةُ الشَّافعيةِ الشِّهابُ أحمدُ الرَّملي الأنصاري[32] -عليه رحمةُ الباري- ما نصُّه:

«إنَّ العالِمَ إذا لم يعمَل بعِلمِه؛ بأن ترَكَ شيئًا ممَّا تعيَّن عليه عَمَلُه، أو ارتكَب مُحرَّمًا= يُعذِّبْه اللهُ تعالى -إن لم يَعفُ عنه- قبلَ تعذيبِ[33] عابدِ الوَثَنِ، وهو: الصَّنَمُ؛ إذ العالِمُ ارتكَب المعصيةَ عالِمًا بتحريمِها، وعابدُ الوَثَنِ غيرُ عالِمٍ بتحريمِ عبادتِه.

وعن أنسِ بنِ مالكٍ -رضي الله تعالى عنه- عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: «**الزَّبانيةُ أسرَعُ إلى فسَقةِ القُرَّاءِ[34] منهم إلى عبَدةِ الأوثانِ، فيَقولونَ: أيُبدَأُ بنا قبلَ عبَدةِ[35] الأوثانِ؟! فيُقالُ لهم: ليسَ مَن يعلَمُ كمَن لا يعلَمُ**» رواه الطبرانيُّ[36]، وأبو نُعَيمٍ[37].

وعن أبي هريرةَ -رضي الله تعالى عنه- قال: سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقولُ: «**إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَتَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ،**

برهانَ الإسلام الزُّرْنوجي قد ذكر في كتابه: تعليم المتعلِّم طريقَ التعَلُّم، تحقيق: صالح الخيمي، ونذير حمدان، الطبعة الثالثة، (دمشق: دار ابن كثير، 1435هـ): أنَّ صاحبَ «الهداية» أنشَده هذين البيتين لبعضِهم.

(32) أحمد بن أحمد الرملي في: فتح الرحمن بشرح زبد ابن رسلان، تحقيق: سيد شلتوت، الطبعة الأولى، (جدة: دار المنهاج، 1430هـ)، ص46- 47.

(33) «تعذيب» في «فتح الرحمن»: «تعذيبه».

(34) «القراء» في «جزء ما انتقى ابن مردويه على الطبراني»: «القرآن».

(35) «عبدة» مكررة في (أ).

(36) سليمان بن أحمد الطبراني، كما في: جزء فيه ما انتقى ابن مردويه على أبي القاسم الطبراني من حديثه لأهل البصرة، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، (الرياض: أضواء السلف،1420هـ)، ص332، برقم (157).

(37)، أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني في: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (القاهرة: مطبعة السعادة، 1394هـ)، 286/8، وقال أبو نعيم: «غريب»، وله شاهدٌ عند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ذكَره المؤلِّف بعدَ هذا.

وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: هُوَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ حتَّى سُحِبَ[38] **عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.**

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَتَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَمِلْتُ بِهِ، وَقَرَأْتُ فِيكَ [2/ب] **الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.**

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَتَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ[39]**، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»** رواه مسلمٌ[40]، وغيرُه[41].

وعن الوليدِ بنِ عُقبةَ –رضي الله تعالى عنه– قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ أُناسًا مِن أهلِ الجَنَّةِ يَطَّلِعُونَ**[42] **إلى أُناسٍ مِن أهلِ النَّارِ، فيَقولونَ: لِمَ دخَلتُمُ النَّارَ؟ فوَاللهِ ما دخَلنا الجَنَّةَ إلَّا بما تعَلَّمنا مِنكُم؟ فيَقولونَ: إنَّا كُنَّا نقولُ ولا نفعَلُ**» رواه الطبرانيُّ في «**الكبيرِ**»[43].

(38) «حتى سُحِب» في «صحيح مسلم» و«فتح الرحمن»: «فسُحِب».

(39) «لك» ليس في (أ).

(40) مسلم بن الحجاج، في «صحيحه»، تحقيق: مجموعة من العلماء، (تركيا: دار الطباعة العامرة، 1334هـ)، كتاب (الإمارة)، باب (مَن قاتل للرياء والسُّمعة استحق النار)، 50/5، برقم (1905).

(41) وهو: أحمد بن شعيب النسائي في «سننه» المسمَّى بـ«المجتبى»، تحقيق: مجموعة من الباحثين، (سوريا: دار الرسالة العالمية، 1439هـ)، كتاب (الجهاد)، باب (مَن قاتل ليُقال: فلان جريء)، 46/6- 47، برقم (3137).

(42) «يطَّلِعُون» في «المعجم الكبير» و«فتح الرحمن»: «يَنطَلِقُون».

(43) المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد، (الرياض: دار الصميعي، 1415هـ)، 150/22، (405)، وضعَّفه علي بن أبي بكر الهيثميُّ في: مجمع الزوائد، 185/1.

وعن أبي هريرةَ –رضي الله تعالى عنه– قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ أشَدَّ النَّاسِ عَذابًا يَومَ القيامةِ عالِمٌ لَمْ ينفَعْه عِلمُه**» رواه الطبرانيُّ في «**الصَّغيرِ**»[44]، والبيهقيُّ[45]، والأحاديثُ في وعيدِه كثيرةٌ[46].

وقال أبو الدَّرداءِ: «**وَيلٌ لِمَن لا يَعلَمُ مرَّةً**[47]، **ووَيلٌ لِمَن يَعلَمُ [ولا يَعمَلُ] سَبعَ مرَّاتٍ**»[48][49].

وقيل لابنِ عُيَينةَ: أيُّ النَّاسِ أطوَلُ نَدامةً؟ قال: «**أمَّا في الدُّنيا** [3/أ]: فصانِعُ المعروفِ إلى مَن لم يَشكُرْه، **وأمَّا عِندَ المَوتِ وبَعدَه: فعالِمٌ مُفَرِّطٌ**» انتَهى[50].

وفي «**رَوضِ الرَّياحينِ**» للشَّيخِ اليافِعيِّ[51] – رحمه اللَّهُ تعالى– نقلًا عنِ المحاسِبيِّ[52]، بعدَ أن ذَكَر العلماءَ المائِلين إلى الدُّنيا، قال: «يَزعُمونَ أنَّ أصحابَ محمَّدٍ صلى الله عليه

---

(44) المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، (بيروت: المكتب الإسلامي، دار عمار، 1405هـ)، 305/1، برقم (507)؛ ورمز عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، لضَعفِه، في «الجامِعِ الصَّغيرِ–مع التَّنوير للصَّنعاني»، تحقيق: د.محمَّد إسحاق، الطبعة الأولى، (الرياض: دار السلام، 1432هـ)، 380/2، وله شاهد من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، عند: عبد الله بن عبد الرحمن الدارميّ، في: المسند، تحقيق: حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، (السعودية: دار المغني، 1412هـ)، 320/1، برقم (268).

(45)، أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، الثامن عشر من شعب الإيمان، فصل: ينبغي لطالب العلم أن يكون تعلُّمُه، وللعالم أن يكون تعلِيمُه لوجه الله، 273/3– 274، برقم (1642).

(46) «والأحاديثُ في وعيدِه كثيرةٌ» في (أ): «والوعيدُ في أحاديثِه كثيرةٌ».

(47) بعده في (ب): «واحدة»؛ والمثبت موافق للمصادر.

(48) زيادة من كتابَيِ «الزهد» لوكيع، ولأحمد.

(49) أخرجه وكيع بن الجراح، في: الزهد، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، الطبعة الأولى، (المدينة المنورة: مكتبة الدار، 1404هـ)، ص٤٦٧، برقم (217)؛ وعنه: أحمد بن حنبل في: الزهد، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ)، ص ١١٧، برقم (764).

(50) أي: من «فتح الرحمن بشرح زبد ابن رسلان» لشهاب الدِّين الرَّملي، وسبق توثيقُه.

(51) عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد اليافعي في: روض الرَّياحين في حكايا الصالحين، تحقيق: محمد عزت، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ت)، ص20– 21.

(52) الحارث بن أسد المحاسِبي في: النصائح، ضمن مجموع من تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1406هـ)، ص67– 77.

وسلم كانت لهم أموالٌ كثيرةٌ، فيحتَجُّ المغرُورُونَ بذلك؛ لِيَعذُرَهمُ[53] النَّاسُ على جَمعِ الأموالِ، وقَد دهاهمُ الشَّيطانُ وما يشعُرونَ.

ويحَكَ أيُّها المغرورُ[54] المسكينُ المفتونُ! إنَّ احتِجاجَكَ بمالِ عبدِ الرَّحمَنِ بنِ عوفٍ -رضي اللهُ تعالى عنه[55]- مكيدةٌ من الشَّيطانِ يَنطِقُ بها على لسانِك ليُهلِكَك؛ لأنَّك [متى][56] زعَمت أنَّ خيارَ الصَّحابةِ -رضي الله تعالى عنهم- أرادوا المالَ للتَّكاثُرِ والشَّرَفِ والزِّينةِ، فقَدِ اغتَبتَ السَّادةَ خيارَ النَّاسِ، ونَسَبتَهم إلى أمرٍ فَظيعٍ[57] هم مِنه بَريئونَ.

وإن زعَمتَ أنَّ جمعَ المالِ الحلالِ خيرٌ مِن تَركِه، فقد زعَمت أنَّ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لم ينصَحْ أُمَّتَه؛ حيث نَهاهم عن جمعِ الأموالِ، ورَغَّبهم في زُهدِها، وفي الرِّضا بالقليلِ منها!

كذَبتَ[58] ورَبِّ السَّماءِ على رسولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّه خيرُ ناصِحٍ للأُمَّةِ، وأفضَلُ مُرشِدٍ لكَشفِ الغُمَّةِ، وكان عليهم شَفُوقًا حَمِيمًا، وبهم رءُوفًا رحيمًا.

وَيحَكَ أيُّها [3/ب] المفتونُ! هذا عبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ معَ فضلِه وتقواه وصُنعِه المعروفَ[59] وبَذلِ نَداه[60] في طُرُقِ الخَيرِ، وكم مِن قافِلةٍ تصَدَّق بها -جِمالًا وأحْمالًا- في سبيلِ اللَّهِ[61]، ومعَ صُحبَتِه لرسولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم ويا لَهَا من فضيلةٍ ومِنَّةٍ، ومعَ

---

(53) «ليعذرهم» في (ب): «لتعذرهم».

(54) «المغرور» ليس في (ب).

(55) «رضي الله تعالى عنه» في (أ): «رحمه الله تعالى».

(56) زيادة من «النصائح» و«روض الرياحين».

(57) «فظيع» في «النصائح» و«روض الرياحين»: «عظيم».

(58) «كذبت» في (أ): «كَذِبٌ».

(59) «المعروف» في (ب): «للمعروف».

(60) أي: غايتَه ومَداه. يراجع: محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المختصين، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة، 1385- 1422هـ)، 57/40، مادة: (ن.د.ا).

(61) أخرجه أحمد بن حنبل في: المسند، مسند الصِّدِّيقة عائشة بنت الصِّدِّيق رضي الله عنها، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الطبعة الأولى، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1421هـ)، ٣٣٧/41، برقم (24842) من حديث أنسٍ عن عائشةَ رضي الله عنهما. وذكره عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي في: الموضوعات، 13/2، ونقل عن الإمام أحمدَ نفسِه قولَه: «هذا الحديثُ كذبٌ مُنكَر»، وعلَّل الحافظُ ابن حجر ذكرَه في «المسند» في كتابه: القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد، الطبعة الأولى، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، 1401هـ)، ص9.

بِشارتِه له بالسَّعادةِ والجَنَّةِ[62] = يَطولُ وُقوفُه في عَرَصاتِ القيامةِ والأهوالِ، وذلك بسبَبِ اكتسابِه لكثرةِ الأموالِ معَ كونِها من الحلالِ، فيَتأخَّرُ عنِ السَّعيِ إلى الجَنَّةِ معَ فُقَراءِ المهاجِرين، فيكونُون[63] له إلى الجَنَّةِ سابِقينَ، وهو يَجيءُ في آثارِهم حَبوًا[64]؛ فما ظَنُّكَ يا مِسكينُ بأمثالِنا الغَرقى في فِتَنِ الدُّنيا؛ المغرورِين؟!

وبعدَ هذا، فالعجَبُ كلُّ العجَبِ من كلِّ مَفتونٍ مُتمرِّغٍ في تَخاليطِ الشُّبُهاتِ، يُكالِبُ على أوساخِ النَّاسِ، ويَتقلَّبُ في الشَّهوات، وفي زينةِ الدُّنيا والمباهاة، ثُمَّ يَحتَجُّ بأفعالِ الصَّحابةِ رضي اللَّهُ تعالى عنهم!

---

(62) أخرجه سليمان بن الأشعث أبو داود، في «سننه»، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الطبعة الأولى، (دمشق: دار الرسالة العالمية، 1430هـ)، (كتاب السنة)، باب (في الخلفاء)، 46/7، برقم (4649)؛ والترمذي في «سننه» المسمَّى بـ«الجامع الكبير»، أبواب (المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، باب (مناقب عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهري رضي الله عنه)، 311/6، برقم (4081)، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»؛ ومحمد بن يزيد ابن ماجه، في «سننه»، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الطبعة الأولى، (دمشق: دار الرسالة العالمية، 1430 هـ)، أبواب (السنة)، (فضائل العشرة رضي الله عنهم)، 94/1، برقم (132)، من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه.

(63) «فيكون» في (أ): «فيكون».

(64) أخرج محمد بن عبد الله الحاكم، في «المستدرك على الصحيحين»، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الطبعة الأولى، (سوريا: دار الرسالة العالمية، 1439هـ)، كتاب (معرفة الصحابة رضي الله عنهم)، (ذكر مناقب عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه)، 383/6، برقم (5441) من حديث عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «**يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّكَ مِنَ الأَغْنِيَاءِ، وَلَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا زَحْفًا، فَأَقْرِضِ اللهَ يُطْلِقْ قَدَمَيْكَ**»، قالَ ابنُ عوفٍ: يا رسولَ الله، فما الَّذي أُقرِضُ اللهَ؟ قالَ: «**تَتَبَرَّأُ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ**»، قالَ: يا رسولَ الله، مِن كُلِّه أجمَعَ؟ قالَ: «**نَعَمْ**»، فخرَج ابنُ عوفٍ وهو يَهُمُّ بذلك، فأرسَل إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقالَ: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: مُرِ ابْنَ عَوْفٍ فَلْيُضِفِ الضَّيْفَ، وَلْيُطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَلْيُعْطِ السَّائِلَ، وَيَبْدَأْ بِمَنْ يَعُولُ، فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ تَزْكِيَةَ مَا هُوَ فِيهِ**»، قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحُ الإسنادِ، ولم يُخرِّجاه»، قال الذهبيُّ: «قلت: فيه خالدُ بنُ يزيدِ بنِ أبي مالكٍ الدِّمشقيُّ، ضعَّفه جماعةٌ، وقال النسائيُّ: ليس بثقةٍ». يراجع: سراج الدِّين ابن الملقن، عمر بن علي، مختصر استدراك الحافظ الذَّهبي على مُستدرَك أبي عبد الله الحاكم، تحقيق: عبد الله اللحيدان، وسعد الحميد، الطبعة الأولى، (الرياض: دار العاصمة، 1411هـ)، ١٩٦٩/4، برقم (692).

وهيهاتَ! واللَّهِ ما كان هذا مِن أحوالِهم؛ بل مِن شِيَمِهم: أن[65] كانوا للمَسكَنةِ مُحِبّين، ومِن خوفِ الفَقرِ آمِنين، وباللَّهِ تعالى في أرزاقِهم واثِقين، وبِمقاديرِ اللَّهِ تعالى مَسرُورين، وفي البَلاءِ راضين، وفي الرَّخاءِ شاكِرين، وفي الضَّرَّاءِ صابِرين، وفي السَّرَّاءِ حامِدين، ولِلَّه مُتواضِعين، وعلى أنفُسِهم مُؤْثِرين، وعن حُبِّ العُلُوِّ والتَّفاخُرِ وَرِعين.

وكانوا [4/أ] إذا أقبَلَت عليهم الدُّنيا حَزِنوا، وإذا أقبَلَ عليهم[66] الفَقرُ فَرِحوا، وقالوا: «مَرحَبًا بشِعارِ الصَّالِحِينَ».

فباللَّهِ عليك، أأَنت كذلك؟ أم سلَكت مَسلَكًا مِن هذه المسالِك؟! فرَجوتَ به السَّلامةَ من المهالِك؟

كلَّا! بل أنتَ بمُخالَفتِك لهم هالِك، وإنَّك[67] عن طريقِهم طريدٌ، وعن شَبَهِهم لبَعيد؛ تطغَى عِندَ الغَناء، وتَبطَرُ عِندَ الرَّخاء، وتفرَحُ عِندَ السَّرَّاء، وتَقنَطُ عِندَ الضَّرَّاء، وتَغفُلُ عن أداءِ شُكرِ النَّعْماء، وتَسخَطُ عِندَ البَلاء، ولا ترضى بالقَضاء، وتُبغِضُ قِلَّةَ المالِ ولو كان فيه راحتُكَ يومَ الزِّلزال[68]، وتجمَعُ[69] المالَ لنَعيمِ[70] الدُّنيا وزَهرَتِها، وتَميلُ إلى شهواتِها[71] الفانيةِ ولَذَّاتِها[72].

ولقد كانوا –رضي اللَّهُ تعالى عنهم– فيما أحَلَّ اللَّهُ لهم أزهَدَ مِنك فيما حرَّمَه اللَّهُ تعالى عليك، وكانوا للزَّلَّةِ الصُّغرى أشَدَّ استِعظامًا مِنكَ لكِبارِ[73] المعاصي؛ فلَيتَ أطيَبَ أموالِكَ وأحَلَّها مِثلُ شُبُهاتِ أموالِهم، وليتَك أشفَقتَ مِن سيِّئاتِك كما أشفَقُوا من حَسَناتِهم ألَّا تُقبَلَ، وليتَ صومَك مِثلُ إفطارِهم، وسَهرَك مِثلُ نَومِهم، وليتَ حسناتِك مِثلُ واحدةٍ مِن حسناتِهم!

---

(65) «شيمهم: أن» في (ب): «شأنهم أنهم»، وأشار إلى أن في نسخة أخرى: «شيمهم: أن».
(66) «عليهم» ليس في (أ).
(67) «وإنك» في (ب): «وأنت».
(68) «الزلزال» في (أ): «الزِّلال».
(69) «وتجمع» في (ب): «وتحب جمع».
(70) «لنعيم» في (ب): «لتنعُّم».
(71) «شهواتها» في (ب): «شهوتها».
(72) «ولذاتها» في (ب): «ولذَّتها».
(73) «لكبار» في (ب): «لكبائر».

ويحَك! ينبغي أن ترضى من الدُّنيا باليسيرِ، حيث حصَلَ لك أدنَى الكفايةِ من غيرِ تَكثِير، ولا تجنَحَ أن تكونَ من أربابِ الأموالِ الَّذي حِسابُها عَسِير؛ فإن [4/ب] كانَت حلالًا فحِسابُك طَويل، وإلَّا فهو خَطير.

أمَا يُرضِيك قولُ البَشيرِ النَّذير عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**يَدخُلُ الفُقَراءُ الجَنَّةَ قبلَ الأغنياءِ بخَمسِ مِئةِ عامٍ**»[(74)]؟ انتَهى[(75)].

ولهذا كان سيِّدُ الأوَّلين والآخِرين إمامَ القانِعين، وقُدوةَ الزَّاهِدين الرَّاضِين، وفُتِّحَت له خزائِنُ الأرضِ فكانَ عنها مِنَ المعرِضِين.

وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ *** عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ[(76)]

وتَلاه في الزُّهدِ على[(77)] التَّحقيقِ أفضَلُ النَّاسِ بعدَه: أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، فأنفَق جميعَ ما كان يملِكُه –وهو أربعون ألفَ دينارٍ– زُهدًا، وتَرَكًا للعُلوِّ في هذه الدَّارِ، وقيلَ له: «**ما أبقَيتَ لأهلِكَ وعِيالِكَ؟**» فقال: «أبقَيتُ لهمُ اللهَ ورَسولَه»[(78)]؛ فأسعَده اللَّهُ في ذُرِّيَّتِه وأعطاه سُؤْلَه.

وكان رضي اللَّه عنه –معَ رِفعةِ مَقامِه الأجَلِّ– يُشَمُّ مِن فَمِه رائِحةُ الكَبدِ المشويِّ[(79)]؛ من شِدَّةِ خوفِه من ربِّه عزَّ وجلَّ.

---

(74) أخرجه الترمذي في «سننه»، أبواب (الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، باب (ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون قبل أغنيائهم الجنة)، ٣٧٦/4- 377، برقم (2510)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

(75) أي: من «روض الرياحين» لليافعي.

(76) من أبيات البردة الشريفة. يراجع: «البردة– مع شرح الشيخ خالد الأزهري»، تقديم: محمد علي حسن، (بغداد: مكتبة الأندلس، مطبعة الإرشاد، 1966م)، ص55.

(77) «على» في (ب): «في».

(78) القائل له هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب (الزكاة)، باب (الرخصة في ذلك)، 108/3، برقم (1678)؛ والترمذي في «سننه»، أبواب (المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، (باب)، 255/6، برقم (4006)، من حديث عمرَ بن الخطَّاب رضي الله عنه، وقال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

(79) لم أقف عليه مُسنَدًا، وذكَره عمر بن محمد بن الخضر الموصلي، في: وسيلة المتعبِّدين إلى متابعة سيِّد المرسلين، (الهند: دائرة المعارف العثمانية، د.ت)، 6/ق232/2.

وكان يبكي[80] في اللَّيلِ جِهارًا ويَعُدُّ[81] ما وقَع منه من الكلامِ نَهَارًا، ويُعاتِبُ في ذلك نفسَه، ويَستغفِرُ منه ربَّه، وكان يقولُ في السِّرِّ والعَلانِية: «لا آمَنُ مَكرَ اللَّهِ ولَو دخَلتُ بإحدى[82] رِجلَيَّ الجنَّةَ[83] حتَّى أدخُلَ بالثَّانية»[84]، معَ أنَّه كان من المبَشَّرينَ بدُخولِ الجَنَّةِ المخَلَّد، ويقولُ: «رُبَّما كان ذلك مُعَلَّقًا على شيءٍ لَم يوجَد»[85] [5/أ].

ولما اجتمَع أميرُ المؤمِنينَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ -رضي اللهُ تعالى عنه- بأُوَيسٍ القَرَنِيِّ التَّابِعيِّ، واطَّلَعَ على ما هو فيه مِنَ المجاهَدةِ والتَّشْمير، ظَنَّ أنَّه دونَ أُوَيسٍ في الأعمالِ الصَّالِحةِ، وأنَّه حصَل منه التَّقصير، فبَكى -رضيَ الله تعالى عنه- على نفسِه، وقال: «يا لَيتَني[86] كُنتُ كَبشًا لأهلي سمَّنوني ثُمَّ أكَلوني»[87].

ونقَل الشَّيخُ عبدُ الرَّءُوفِ المناويُّ[88] عنِ الحَسَنِ البَصريِّ[89] أنَّه قال له قائِلٌ مرَّةً: سمِعتُ الفُقَهاءَ يقولونَ كذا، فأجابَ بما معناه: «وَهَل رأيتَ في هذا الزَّمانِ فقيهًا؟ الفَقيهُ

(80) «يبكي» ليس في (أ).
(81) «ويعد» في (أ): «يعد».
(82) «بإحدى» في (أ): «إحدى».
(83) «الجنة» سقط من (أ).
(84) لم أقف عليه.
(85) لم أقف عليه.
(86) «يا ليتني» في (أ): «ليتني»؛ والمثبَت تُرجِّحُه المصادر.
(87) أخرجه هَنَّاد بن السَّرِي، في: الزهد، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، الطبعة الأولى، (الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، 1406هـ)، ٢٥٨/1، برقم (449)؛ ومن طريقه: أبو نعيم، في: حلية الأولياء، 52/1، وليس عندهما حكاية أويس القرني، ولم أقف عليها واردةً مع هذا الأثر.
(88) بنحوه في: فيض القدير، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ)، ٢٥٥/1؛ 242/6، ويبدو لي أنَّ اللَّفظ الذي ذكره المؤلِّف من صياغتِه كما أشار إلى ذلك، إلا أن يكون نقَله من مُؤلَّف للمناويِّ لم أطَّلع عليه.
(89) أخرجه ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، في: المصنَّف، تحقيق: د.محمد عوامة، الطبعة الأولى، (السعودية: دار القبلة، ومؤسسة علوم القرآن، 1427هـ)، كتاب (الزهد)، (كلام الحسن البصري)، 366/19، برقم (36336)؛ ومن طريقه: أبو نعيم، في: حلية الأولياء، (الطبقة الأولى من التابعين)، (الحسن البصري)، 147/2.

مَن اشتغَل باللهِ عمَّا سِواه، الفَقيهُ مَن أنساه هَمُّ أُخراهُ[90] عن زينةِ دُنياه، الفَقيهُ مَن لا يتبجَّحُ بإقامةِ دَليل، ولا بإظهارِ تعليل؛ لأنَّه مِن خَوفِه مِن مولاهُ الجَليلِ ظهَرَت عليه علامةُ المِسكينِ الذَّليلِ» انتَهى.

ولِهذا كانَ الحَسَنُ البَصريُّ –مَعَ أنَّ اللهَ زادَه بسطةً في العِلمِ والجِسمِ– إذا جلَسَ عِندَ قومٍ جلَسَ جُلوسَ الذُّلِّ والخَوفِ، كأنَّه جلَسَ ليُرمَى عُنُقُه[91].

ومِثلُ هذا ما رُويَ عن أبي يزيدَ البَسْطَاميِّ[92] أنَّه كانَ يقولُ: «عَطَّلَ ذُلِّي ذُلَّ اليَهودِ»[93].

وقال الجُنَيدُ شيخُ الطَّريقةِ –نَفَعنا اللهُ تعالى بهِ–: «عَرَضتُ على نفسي الجِهادَ في سبيلِ اللهِ فرَضِيَت واطْمأنَّت وسَكَنَت، فقُلتُ لها: كيفَ رضيتِي بالقَتلِ [5/ب] والموتِ

(90) «أخراه» في (ب): «آخرته»، وأشار ناسخها إلى أن في نسخة أخرى: «أخراه».

(91) أخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» عن الحسن البصريّ رحمه الله آثارًا متعدِّدةً تدلُّ على هذا المعنى. يراجع: أبو نعيم، حلية الأولياء، (الطبقة الأولى من التابعين)، (الحسن البصري)، 2/131– 134.

(92) أبو يزيد البَسْطاميّ أو البِسْطَاميّ (خلافٌ في ضبطِه بين ابن ماكولا والسمعاني)، قيل: شخصٌ واحد، وقيل: شخصان، وكلاهما من أئمَّة الطريق: **أولهما**: أبو يزيد البسْطاميُّ الأكبر، طيفور بن عيسى بن سروشان، (ت.261هـ). **وثانيهما**: أبو يزيد البسطاميُّ الأصغر، طيفور بن عيسى بن آدم. يراجع: محمد بن الحسين السُّلَمي، طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ)، ص67– 74؛ وعلي بن هبة الله ابن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، تحقيق: المعلمي اليماني، الطبعة الأولى، (الهند: دائرة المعارف العثمانية، 1381هـ– 1386هـ)، 7/144– 145؛ وعبد الكريم بن محمد السمعاني، الأنساب، تحقيق: المعلمي اليماني، الطبعة الأولى، (الهند: دائرة المعارف العثمانية، 1382هـ– 1402هـ)، 2/229– 231.

(93) لم أقف على هذا القول منسوبًا إلى أبي يزيد البسطاميّ، وإنَّما ورَد منسوبًا إلى أبي بكرٍ الشِّبْليّ من أصحاب الجُنَيدِ شيخِ الطريقة. وذُلُّ اليهودِ هو المذكورُ في قولِه تعالى: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾[آل عمران: 112]، والمعنى: أن ذُلِّي في نفسي أعظَمُ من ذُلِّ اليهودِ في أنفسِهم؛ لأنَّ ذُلَّهم قَهريٌّ، وذُلِّي عن عِلمٍ بما عليه نفسي من النَّقص. يراجع: عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: د.عبد الحليم محمود، د.محمود بن الشريف، (القاهرة: دار الشعب، 1409هـ)، ص269؛ ومحمد بن محمد بن مصطفى الخادمي، بريقةٌ محموديَّة في شرح طريقةٍ محمَّديَّة وشريعةٌ نبويَّة في سيرةٍ أحمديَّة، (القاهرة: مطبعة الحلبي، 1348هـ)، 2/228؛ 3/157.

وتَركِ المألوفِ معَ أنَّ الحَياةَ في الدُّنيا محبوبةٌ[94] مألوفةٌ؟ فقالت: مَوتةٌ واحِدةٌ في العُمرِ وأستَرِيحَ، أخَفُّ مِن مِئَةِ مَوتةٍ كُلَّ يومٍ معَ التَّوبيخِ»[95].

وكانَ أبو يَعَزَّى المغربيُّ[96] إذا جلَسَ وخَلَع نِعالَه يُسمَعُ صوتُ حَزينٍ وأنينٍ عِندَ نِعالِه، فإذا سُئِلَ عن ذلكَ قال: «هذه النَّفسُ خلَعتُها عِندَ النِّعالِ»[97].

وكَم يا هذا لهذه[98] مِن أمثالٍ ممَّا هو مأثورٌ عنِ العُلَماءِ الفُضَلاءِ الأبطال! إن[99] لم يكُن فيكَ شَيءٌ مِن أوصافِهم وإلَّا فأنتَ بطَّال، ويحَكَ ثُمَّ ويحَكَ إن خيَّلَت لكَ نفسُكَ معَ بُعدِكَ عنهم ومُبايَنَتِكَ لهم أنَّكَ صِرتَ معدودًا مِنَ الرِّجالِ! كلَّا! بل هذا هو الغُرورُ والفُتونُ والفُتورُ والدَّاءُ[100] العُضالُ؛ فأيُّ مُصيبةٍ أعظَمُ[101] مِن رُؤيةِ الحُسنِ معَ الفُتون، ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾[فاطر: 8]؟ إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجِعون.

إنَّما المصابُ من حُرِمَ الثَّوابَ ولَمَ يقرَعِ البابَ وتَرَكَ اللُّبابَ ورَضيَ[102] بالقُشورِ، لتَرَكِه الفِرارَ الواجِبَ مِنَ النَّفسِ الأمَّارةِ والنُّفورِ.

ولْيَكفِكَ هذا النَّزرُ اليَسيرُ معَ توفيقِ اللهِ القَدير، وإلَّا فلا حاجةَ إلى التَّكثير.

***

(94) «محبوبةٌ» ليس في (أ).

(95) لم أقف عليه.

(96) هو: الشيخُ الوليُّ العارف أبو يَعَزَّى ابن ميمون المغربي، صاحب الكرامات الظاهرة، من أعيان المشايخ بالمغرب، وتخرَّج به من أكابر مشايخها وأعلام زُهَّادها جماعةٌ، (ت.561هـ). يراجع: يوسف بن قِزْ أُوغلي سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الطبعة الأولى، (دمشق: دار الرسالة العالمية، 1434هـ)، 123/21؛ وأحمد بن حسن ابن قنفذ، الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، الطبعة الرابعة، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1403هـ)، ص284؛ وأحمد الصومعي التالدي، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق: علي الجاوي، (المغرب: جامعة ابن زهر، كلية الآداب، 1996م)، ص65.

(97) لم أقف عليه.

(98) «لهذه» في (أ): «لهم».

(99) «إن» في (ب): «فإن».

(100) «الداء» سقط من (أ).

(101) «أعظم» سقط من (ب).

(102) «ورضي» في (ب): «وقنع».

وقَد وضَعَ الإمامُ الغَزاليُّ كِتابَه «**الكَشف والتَّبيين عن غُرورِ الخَلق أجمعين**»[103] نُصحًا مِنه للعالَمين؛ لقولِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[104]، فلعلَّ أن يَهتديَ به [6/أ] ذَوُو[105] القَريحةِ، ومُلخَّصُ ما فيه أنَّه قال:

«اعلَم أنَّ الخَلقَ قِسمانِ: حيوانٌ، وغيرُ حيوانٍ.

والحيوانُ قِسمانِ: مُكلَّفٌ، ومُهمَلٌ.

فالمُكلَّفُ: مَن خاطَبه اللهُ تعالى بالعِبادةِ ...، ووعَده عليها بالثَّوابِ، ونَهاه عنِ المعاصي، وحَذَّرَه عليها بالعِقابِ.

ثُمَّ المُكلَّفُ قِسمانِ: مُؤمِنٌ، وكافِرٌ.

والمُؤمِنُ قِسمانِ: طائِعٌ، وعاصٍ.

وكُلُّ واحِدٍ مِن هذينِ قِسمانِ: عالِمٌ، وجاهِلٌ.

ثُمَّ رأيتُ الغُرورَ لازِمًا لجَميعِ المسلِمينَ والكافِرينَ، إلَّا مَن عصَمَه اللهُ ربُّ العالَمينَ، وأنا بحَمدِ اللهِ أكشِفُ عن غُرورِهم، وأُبَيِّنُ الحُجَّةَ فيه واضحةً غايةَ الإيضاحِ، وأُبَيِّنُه غايةَ البَيانِ، بأوجَزِ ما يكونُ مِنَ العِبارةِ، وأبدَعِ ما يكونُ مِنَ الإشارةِ» انتَهى.

ثُمَّ قال: «**فَصلٌ: في بيانِ**[106] **أصنافِ المَغرورينَ، وأقسامِ كُلِّ صِنفٍ مِنهم.**

الصِّنفُ الأوَّلُ: العُلَماءُ:

والمَغرورونَ مِنهم فِرَقٌ:

[الفرقة الأولى]:

فِرقةٌ مِنهم: لمَّا أحكَمَتِ العُلومَ الشَّرعيَّةَ والعَقليَّةَ تعَمَّقوا فيها، واشتَغَلوا بها، وأهمَلوا تفَقُّدَ الجَوارِحِ وحِفظَها مِنَ المعاصي، وإلزامَها للطَّاعاتِ، واغتَرُّوا بعِلمِهم، وظَنُّوا أنَّهم عِندَ

---

(103) «الكَشف والتَّبيين عن غُرورِ الخَلقِ أجمعين» في (أ) و(ب): «الكَشفَ المبين»، وأشار الناسخ إلى أن في نسخة أخرى: «الكَشف والتَّبيين عن غُرورِ الخَلقِ أجمعين»؛ فأثبته بناءً على ذلك؛ لما يترجَّح لديَّ إلى الآن من خلال جمع من النسخ الخطِّيَّة التي وقفت عليها للكتاب المذكور.

(104) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب (الإيمان)، باب (بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون)، 53/1، رقم (55).

(105) «ذوو» في (أ): «ذوي»؛ والمثبَت هو الجادَّة.

(106) «بيان» ليس في (أ).

اللهِ بمَكانٍ، وأنَّهم قد بلَغوا مِنَ العِلمِ مَبلَغًا لا يُعَذِّبُ اللهُ تعالى مِثلَهم، بل يَقبَلُ في الخَلقِ شفاعَتَهم، ولا يُطالِبُهم بذُنوبِهم [6/ب] وخَطاياهم؛ وهم مغرورونَ؛ فإنَّهم لو نظَروا بعَينِ البَصيرةِ عَلِموا أنَّ العِلمَ عِلمانِ:

عِلمُ مُعامَلةٍ.

وعِلمُ مُكاشَفةٍ، وهو: العِلمُ باللهِ سبحانه وتعالى وبصِفاتِه، ولا بُدَّ مِن عُلومِ المعامَلةِ؛ لتَتِمَّ الحِكمةُ المقصودةُ، وهيَ: المعامَلةُ بمَعرِفةِ الحَلالِ والحَرامِ، ومَعرِفةِ أخلاقِ النَّاسِ المذمومةِ والمحمودةِ.

ومِثالُهم مِثالُ طبيبٍ طَبَّ غيرَه، وهو عليلٌ قادِرٌ على طِبِّ نفسِه ولَم يفعَل، وهَل يَنفَعُ الدَّواءُ بالوَصفِ؟ هيهاتَ! لا ينفَعُ الدَّواءُ إلَّا مَن شرِبَه بعدَ الحِميةِ.

وغَفَلوا عن قولِه سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: 9، 10]، ولم يَقُل: مَن يَعلَمُ تزكيَتها، وكَتَب عِلمَها، وعَلَّمَ النَّاسَ.

وغَفَلوا[107] عن قولِه صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ أشَدَّ النَّاسِ عَذابًا يَومَ القيامةِ عالِمٌ لم ينفَعْه اللهُ بعِلمِه**»[108]، وغيرُ ذلك كثيرٌ.

وهؤلاءِ مَغرُورُونَ، نعوذُ باللهِ مِنهم، وإنَّما غَلَبهم حُبُّ الدُّنيا، فأوجَب لهمُ الرَّاحةَ في العاجِلةِ، وظَنُّوا أنَّ عِلمَهم يُنجِيهم في الآخِرةِ مِن غيرِ عَمَلٍ.

[الفرقة الثانية]:

وفِرقةٌ أُخرى: أحكَموا العِلمَ والعَمَلَ الظَّاهِرَ، وتَرَكوا المعاصيَ الظَّاهِرةَ، وغَفَلوا عن قُلوبِهم، فلَم يُنَحُّوا[109] مِنها الصِّفاتِ المذمومةَ عِندَ اللهِ تعالى؛ كالكِبرِ، والرِّياءِ، والحَسَدِ، وطَلَبِ الرِّياسةِ، والعُلوِّ، وإرادةِ الثَّناءِ، والتَّقَدُّمِ [7/أ] على الأقرانِ؛ وذلكَ غُرورٌ سبَبُه غَفلَتُهم عن قولِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**الرِّياءُ الشِّركُ الأصغَرُ**»[110].

---

(107) «وغفلوا» في (أ): «وغفل».

(108) سبق تخريجه.

(109) «ينحوا» أشار في (ب) إلى أن في نسخة أخرى: «يمحوا».

(110) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب (الرقاق)، 666/8، برقم (8136)، من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، وقال: «صحيحُ الإسناد».

وقولِه صلى الله عليه وسلم: «**الحَسَدُ يأكُلُ الحَسَناتِ كما تأكُلُ النَّارُ الحَطَبَ**»[111].

وقولِه صلى الله عليه وسلم: «**حُبُّ المالِ والشَّرَفِ يُنبِتانِ النِّفاقَ في القَلبِ كما يُنبِتُ الماءُ البَقْلَ**»[112]؛ إلى غيرِ ذلك من الأخبارِ.

وغَفَلوا عن قولِه تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء: 89]؛ فغَفَلوا عن قُلوبِهم، واشتَغَلوا بظَواهِرِهم، ومَن لا يُصَفِّي قلبَه لا تصِحُّ طاعَتُه، وهو كمريضٍ ظهَر به الجَرَبُ فأُمِرَ بالطِّلاءِ وشُربِ الدَّواءِ، فاشتغَل بالطِّلاءِ وترَك شُربَ الدَّواءِ، فأزالَ ما بظاهِرِه ولَم يُزِل ما بباطِنِه، وأصلُ ما على ظاهِرِه مِمَّا هو في باطِنِه، فلا يزالُ جرَبُه يزدادُ أبدًا؛ لِما في باطِنِه، فلَو أزالَ ما في باطِنِه لاستَراحَ الظَّاهِرُ؛ فكَذلكَ الخَبائِثُ إذا كانَت كامِنةً في القَلبِ يظهَرُ أثَرُها على الجَوارِحِ.

[الفرقة الثالثة]:

وفِرقةٌ أُخرى: عَلِموا هذه الأخلاقَ الباطِنةَ، وعَلِموا أنَّها مذمومةٌ مِن وجهِ الشَّرعِ، إلَّا أنَّهم يُعجَبونَ بأنفُسِهم، يَظُنُّونَ أنَّهم مُنفَكُّونَ عنها، وأنَّهم أرفَعُ عِندَ اللَّهِ مِن أن يبتَليَهم بذلكَ، وإنَّما يُبتَلى به العَوامُّ دونَ مَن بلَغَ مَبلَغَهم في العِلمِ، فأمَّا هم فهم أعظَمُ عِندَ الله [7/ب] مِن أن يبتَليَهم.

فظَهَرت عليهم مَخايِلُ الكِبرِ والرِّياسةِ، وطَلَبِ العُلوِّ والشَّرَفِ.

---

(111) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب (الأدب)، باب (الحسد)، 264/7، برقم (4903)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وابن ماجه في «سننه»، أبواب (الزهد)، باب (الحسد)، 310/7، برقم (4210)، من حديث أنس رضي الله عنه، **وحسَّنه** عبد الرحيم بن الحسين العراقيُّ، في: تخريج أحاديث الإحياء، الطبعة الأولى، (بيروت: دار ابن حزم، 1426هـ)، من طريق (قتادة عن أنس) عند أحمد بن علي الخطيب البغدادي، في: تاريخ مدينة السلام، تحقيق: د.بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1422هـ)، 13/3.

(112) لم أقف عليه مُسنَدًا بهذا اللَّفظ، وأخرجه أبو منصور الدَّيلمي في «مسند الفردوس» كما في «زهر الفردوس» (370) من حديث أنس رضي الله عنه إلا أنه قال: «الغناء واللهو»، وقال: «العُشبَ» مكان «البَقل».

وغُرورُهم: أنَّهم ظَنُّوا أنَّ ذلكَ ليس بكِبرٍ، وإنَّما هو عِزٌّ للدِّينِ، وإظهارٌ لشرَفِ[113] العِلمِ، ونُصرةِ دِينِ اللَّه.

وغَفَلوا عن فرَحِ إبليسَ به، وعن نُصرةِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بماذا كانَت، وبِماذا[114] أرغَمَ الكافِرينَ؟

وغَفَلوا عن تواضُعِ الصَّحابةِ[115] رضيَ اللَّه تعالى عنهم أجمَعينَ، وتَذَلُّلِهم وفَقرِهم ومَسكَنَتِهم.

ثُمَّ هذا المغرورُ[116] يَطلُبُ العِزَّ للدِّينِ بالثِّيابِ الرَّفيعةِ، ويُطلِقُ لسانَه حسَدًا في أقرانِه، ويَزعُمُ أنَّ هذا غضَبٌ للَّهِ تعالى، والأمرُ ليس كذلك بل هو بهذا مَغرورٌ؛ لأنَّه يُحِبُّ ذمَّ أقرانِه، ويُحِبُّ مِدحةَ نفسِه، حتَّى إذا بلَغَه عن[117] أحَدٍ ذَمُّه غضِبَ.

وكذلك إذا سَمِع مِدحةَ أحَدٍ مِن أقرانِه.

فهو بهذا الحالِ مِن المرائين المغرُورين؛ لأنَّه لو كان صادقًا في إخلاصِه لأحَبَّ حُصولَ صلاحِ الخَلقِ على يدِ غيرِه مِمَّن هو مِثلُه أو فوقَه.

وربَّما زَيَّن له الشَّيطانُ أنَّك تحتاجُ إلى شفاعةٍ لك فيها ثوابٌ، فيَتردَّدُ على الحُكَّامِ والظَّلَمةِ، وربَّما أثنى على مَن دخَل عليه بما يُغضِبُ اللَّهَ تعالى، وإذا سُئِلَ عن ذلكَ قال: إنَّما غرَضي أن أنفَعَ المسلِمين وأدفَع عنهمُ الضَّرَر؛ وهو مغرورٌ، إذ لو كانَ غرَضُه ذلك لأحَبَّ ذلك [8/أ] على يدِ غيرِه، وكانَ يفرَحُ به.

كلَّا! بل يحمِلُه الحَسَدُ على الغَيظِ، ويُريدُ[118] ألَّا يُقبَلَ عِندَ الظَّالِمِ إلَّا هو.

---

(113) «لشرف» في (أ): «شرف».
(114) «وبماذا» في (أ): «وبم».
(115) «الصحابة» سقط من (أ).
(116) «المغرور» في (أ): «الغرور».
(117) «عن» في (أ): «من».
(118) «ويريد» في (أ): «ويزيد».

ورُبَّما نالَ مِن مالِه[119] شيئًا، ويَفرَحُ[120] ويَفتخِرُ به، وإذا خطَرَ ببالِه أنَّه حرامٌ قال له الشَّيطانُ: هذا مالٌ لا مالِكَ له، وهو[121] لِمصالِحِ المسلِمين، وأنتَ إمامُ المسلِمين وعالِمُهم، وبك يحصُلُ قِوامُ الدِّينِ.

وهذه ثلاثُ تلبيساتٍ:

أحدُها: أنَّه مالٌ[122] لا مالِكَ له.

ثانيها: أنَّه لِمصالِحِ المسلِمين.

ثالِثُها: أنَّه إمامٌ يُقتَدى بأفعالِه وأقوالِه.

وهل يكونُ إمامًا إلَّا مَن أعرَضَ عنِ الدُّنيا؛ كالأنبياءِ، والصَّحابةِ، ومَن على منهَجِهِمُ القَويمِ؟

وهذا مِصداقُ قولِ عيسى عليه السَّلامُ: «العالِمُ السُّوءُ؛ كصَخرةٍ وقَعَت في فَمِ الوادي، فلا هي تشرَبُ الماءَ، ولا هي تترُكُ الماءَ يخلُصُ[123] إلى الزَّرعِ»[124].

وأصنافُ غُرورِ أهلِ العِلمِ[125] كثيرةٌ، وما يُفسِدُه هؤلاء أكثرُ ممَّا يُصلِحُونه[126]» انتَهى.

---

(119) «ماله» في (ب): «مالهم»، وأشار ناسخُها إلى أن في نسخة أخرى: «ماله».

(120) «ويفرح» في (ب): «ويفرح به».

(121) «وهو» في (ب): «فهو».

(122) «مال» ليس في (ب).

(123) «يخلص» في (ب): «ليخلص»؛ والمثبَت تُرجِّحُه المصادر.

(124) ذكره محمد بن علي أبو طالب المكي، في: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق: د.عاصم إبراهيم الكيالي، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1426هـ): 244/1.

(125) «أهل العلم» في (أ): «العلماء».

(126) «يصلحونه» في (أ): «يُصلِحُه».

قُلتُ: ويكفي هؤلاءِ ذَمًّا وزَجرًا ما ذكَره المنذِريُّ[127] -رحمه اللَّهُ تعالى- في كتابِ «**التَّرغيبِ والتَّرهيبِ**»[128] بقولِه: «عن عليٍّ -رضي اللَّهُ تعالى عنه- قال: قال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (**تَعَوَّذوا باللَّهِ مِن جُبِّ الحُزنِ -أو وادي الحُزنِ-**)، قيلَ: يا رسولَ اللَّهِ، وما جُبُّ الحُزنِ -أو وادي الحُزنِ؟- قال: (**وادٍ في جهَنَّمَ، تتعَوَّذُ مِنه جهَنَّمُ كُلَّ يومٍ سبعينَ مرَّةً**[129]**، أعَدَّه [8/ب] اللَّهُ للقُرَّاءِ المُرائينَ بأعمالِهم**[130]) رواه البيهقيُّ[131] بإسنادٍ حَسَنٍ.

ورُوِيَ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قال: (**تَعَوَّذوا باللَّهِ مِن جُبِّ الحُزنِ**)، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، وما جُبُّ الحُزنِ؟ قال: (**وادٍ في جهَنَّمَ، تتَعَوَّذُ مِنه جهَنَّمُ كُلَّ يومٍ أربعَ مِئةِ مَرَّةٍ**)، قيل: يا رسولَ اللهِ مَن يَدخُلُه؟ قال: (**أُعِدَّ للقُرَّاءِ المُرائينَ بأعمالِهم، وإنَّ أبغَضَ القُرَّاءِ إلى اللَّهِ تعالى الَّذينَ يتَرَدَّدونَ إلى الأُمَراءِ الجَوَرةِ**) رواه ابنُ ماجَه[132] واللَّفظُ له، والتِّرمِذيُّ[133]، وقال: (حديثٌ غريبٌ)» انتَهى[134].

---

(127) «المنذري» في جميع النُّسخ: «ابن المنذر» وهو خطأ ظاهر؛ لأنَّ المنذريَّ هو صاحب «الترغيب والترهيب»، ولو قدَّرنا أنه أراد «ابن المنذري» فإنه لقبُ ابن عبد العظيم المنذري، وليس لقبَ عبدِ العظيم نفسِه. يراجع: محمد بن أحمد الذهبي، «سير أعلام النبلاء»، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الطبعة الثالثة، (دمشق: مؤسسة الرسالة، 1405هـ)، 218/23- 219.

(128) «الترغيب والترهيب»، كتاب (صفة الجنة والنار)، فصل (في أوديتها وجبالها)، 468/4.

(129) «سبعين مرَّة» في «ابن ماجه»: «أربع مئة مرَّة»، وفي «الترمذي»: «مئة مرَّة».

(130) «بأعمالهم» ليس في (ب) ولا في «الترغيب والترهيب»؛ والمثبَت موافقٌ لمصادر التخريج.

(131) في: البعث والنشور، تحقيق: أبو عاصم الشوامي، الطبعة الأولى، (الرياض: مكتبة دار الحجاز، 1436هـ)، باب (ما جاء في أودية جهنم)، ص٦٧٣- 674، برقم (1059).

(132) في «سننه»، أبواب (السنة)، باب (الانتفاع بالعلم والعمل به)، 3/1، برقم (256)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(133) في «سننه»، أبواب (الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، (باب)، 345/4، برقم (2541) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «هذا حديثٌ غريبٌ».

(134) من: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، في: «الترغيب والترهيب- مع: فتح القريب المجيب للفيومي»، تحقيق: د.محمد إسحاق، الطبعة الأولى، (نشرة المحقق، 1439هـ).

وفي «**الجامِعِ الصَّغيرِ**»[135]: عن أبي هريرةَ رضي الله تعالى عنه، عنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ أبغَضَ الخَلقِ إلى اللهِ تعالى العالِمُ الذي يزورُ العُمَّالَ**»[136].

قالَ شارِحُه المناويُّ[137] رحِمَه اللهُ تعالى: «لِأنَّ في زيارَتِهم مُداهَنَتَهم[138]، والتَّشَبُّهَ بهم، والانحِلالَ إلى بَيعِ الدِّينِ بالدُّنيا، ...، قالَ حكيمٌ[139]: «الذُّبابُ[140] على العَذِرةِ أحسَنُ مِن عالِمٍ على أبوابِ هؤلاءِ» انتَهى.

وفي[141] «**الجامِعِ الصَّغيرِ**»[142] أيضًا عنِ ابنِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضيَ اللهُ تعالى عنهما، عنه صلَّى الله عليه وسلم: «**إنَّ أخوَفَ ما أخافُ على أُمَّتي كُلُّ مُنافِقٍ عَليمِ اللِّسانِ**».

قالَ شارِحُه المناويُّ: «أي: كثيرُ عِلمِ اللِّسانِ، جاهِلُ القَلبِ والعَمَلِ، اتَّخَذَ العِلمَ حِرفةً يتَأكَّلُ بها، وهَيبةً وأُبَّهَةً يتَعَزَّزُ ويَتَعاظَمُ بها، يدعو النَّاسَ إلى اللَّهِ تعالى ويَفِرُّ هو مِنه، ويَستَقبِحُ عيبَ غيرِه ويَفعَلُ ما هو أقبَحُ مِنه، ويُظهِرُ للنَّاسِ التَّنَسُّكَ والتَّعَبُّدَ ويُبارِزُ[143] رَبَّه بالعظائمِ إذا خلا به، ذئبٌ من[144] الذِّئابِ لكِن عليه ثيابٌ، فهذا هو الَّذي حذَّرَ منه صلَّى اللَّه

---

(135) السيوطي، في «الجامِعِ الصَّغيرِ-مع التَّنوير للصَّنعاني»، 553/3.

(136) رواه ابنُ لال بسنده، كما عند: أحمدَ بنِ عليٍّ ابنِ حَجَرٍ العسقلانيّ، في: «الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس» المسمَّى «زهر الفردوس»، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الطبعة الأولى، (دبي: دار البر، 1439هـ)، 642/2- 643، برقم (799) من حديث أبي هُرَيرةَ رضيَ الله تعالى عنه.

(137) المناوي، زين الدِّين محمد المدعو بـ«عبد الرؤوف»، فيض القدير، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ)، 407/2.

(138) «في زيارتهم» في «فيض القدير»: «زيارتهم توجب».

(139) وهو ابن السمَّاك العابد، وعبارتُه: «الذُّبابُ على العَذِرةِ أحسَنُ مِنَ القارِئِ على أبوابِ الملوكِ». أخرجه الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، في: تاريخ مدينة السلام، تحقيق: د.بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1422هـ)، 350/3.

(140) «الذباب» في طبعة «فيض القدير»: «الذئاب»؛ والمثبَت هو الصواب.

(141) من هنا إلى: قوله: «انتهى باختصار» ليس في (أ).

(142) السيوطي، في «الجامِعِ الصَّغيرِ-مع التَّنوير للصَّنعاني»، 460/1.

(143) «ويبارز» في «فيض القدير»: «ويسارر».

(144) «ذئب من» في (أ) و(ب): «نائب عن»؛ والتصويب من «فيض القدير».

عليه وسَلَّمَ [هنا][145]؛ حَذَرًا مِن أن يخطَفَكَ لسانُه، ويُحرِقَكَ بنارِ عِصيانِه، ويَقتُلَكَ بنَتنِ جَنانِه، ...

وكانَ يحيى ابنُ مُعاذٍ يقولُ لعُلَماءِ الدُّنيا: «يا أصحابَ القُصورِ[146]: قُصورُكُم قيصَريَّةٌ، وبُيوتُكُم كِسرَويَّةٌ، وأبوابُكُم ظاهِريَّةٌ، وأخفافُكُم جالوتيَّةٌ، ومَراكِبُكُم قارونيَّةٌ، وأوانيكُم فِرعَونيَّةٌ، ومَآتِمُكُم جاهِليَّةٌ، ومَذاهِبُكُم شيطانيَّةٌ، فأينَ المحَمَّديَّةُ والعالِمِيَّة[147]؟

وأكثَرُ عُلَماءِ الزَّمانِ ضربانِ:

ضَربٌ: مُنكَبٌّ على حُطامِ الدُّنيا، لا يَملُّ مِن جمعِها، وتَراه شَهِرَه ودَهرَه يتَقَلَّبُ في ذلكَ كالهَمَجِ[148] في المزابِلِ يَطيرُ مِن عَذِرةٍ إلى عَذِرةٍ، قد أخَذَت دُنياه بمَجامِعِ قَلبِه، ولَزِمَه خوفُ الفَقرِ، وحُبُّ الإكثارِ، واتَّخَذَ المالَ عُدَّةً للنَّوائِبِ.

وضَربٌ: أهلُ تصَنُّعٍ وخِداعٍ، وتَزَيُّنٍ للمَخلوقينَ، وتَمَلُّقٍ للحُكَّامِ؛ حِرصًا على رئاسَتِهم، يلتقِطُون الرُّخَصَ، ويُخادِعونَ اللهَ بالحِيَلِ، دَيدَنُهم المداهَنةُ، ...، اشتَغَلوا بالأقوالِ عن الأفعال، وسَيُكافِئُهم الجَبَّارُ المتعال» انتَهى باختِصارٍ[149].

فالعَجَبُ كُلُّ العَجَبِ مِمَّنِ اطَّلَعَ على هذه الأخبارِ، وسَمِعَ تلك الآثارَ، ولَم يَرعوِ عن قبيحِ الأوزارِ، ويَهجُرِ الظَّالِمَ عاد أو زار، فإن كانَ معَ هذا لا يتَّبِعُ ولا يسمَعُ فهو عالِمُ سُوءٍ ما في خيرِه مَطمَعٌ.

أعِندَه بَراءةٌ مِنَ اللهِ تعالى بنجاتِه وحدَه؟ أم الأئمةُ العُدُولُ فيما نقَلوه كاذِبونَ عِندَه؟ كلَّا، بل هذا مِن قسوةِ القَلبِ، ومِنَ البُعدِ والطَّردِ مِنَ[150] الرَّبِّ.

ثُمَّ قال الغزاليُّ -رحمه اللَّهُ تعالى-:

---

(145) زيادة من «فيض القدير».

(146) «القصور» في (ب): «العصر».

(147) «والعالمية» في (أ) و(ب): «والعامِليَّة»؛ والتصويب من «فيض القدير».

(148) الهَمَج: ذُبابٌ صغيرٌ كالبَعوض، يَسقُط على وُجوهِ الغَنَم والحَميرِ وأعيُنِها. يراجع: الزبيدي، تاج العروس، ٢٨٢/6، مادة: (هـ.م.ج).

(149) من: «فيض القدير» للمناوي.

(150) «من» في (ب): «عن».

[الفِرقةُ الرَّابعة]:

«**وفِرقةٌ أُخرى**: أحكَموا العِلمَ، وطَهَّروا الجَوارِحَ وزَيَّنوها بالطَّاعاتِ، واجتَنَبوا ظاهِرَ المعاصيَ، وتَفَقَّدوا أخلاقَ[151] النَّفسِ، وصِفاتِ القَلبِ، مِنَ: الرِّياءِ والحَسَدِ والكِبرِ والحِقدِ وطَلَبِ العُلُوِّ، وجاهَدوا أنفُسَهم في التَّبَرِّي مِنها.

لكِن غَفَلوا عمَّا في القَلبِ مِن خفايا مكائدِ الشَّيطانِ، وخَفايا خُدَعِ[152] النَّفسِ مِمَّا دَقَّ وغَمُضَ، فلَم يَفطَنوا لذلك وأهمَلوه؛ فهم كمَثَلِ مَن يُريدُ تنقيةَ الزَّرعِ من الحَشيشِ فدارَ عليه، وفَتَّش عن كُلِّ حَشيشٍ مُضِرٍّ فقَلَعه، إلَّا أنَّه لم يُفَتِّش عَمَّا لم يَخرُج رأسُه من الأرضِ بعدَ ذلكَ، وظَنَّ أنَّ الكُلَّ قد ظهَر وبَرَز، فلَمَّا غَفَل عنها ظهَرت وأفسَدت عليه الزَّرعَ.

ورُبَّما أنَّ هؤلاءِ تَرَكوا مُخالَطةَ النَّاسِ استِكبارًا، ورُبَّما نظَروا للخَلقِ بعَينِ [9/أ] الحَقارةِ، ورُبَّما تَزَيَّنوا بالثِّيابِ الفاخِرةِ، وتحسينِ الهيئةِ؛ لئلَّا ينظُرَ إليهم أحدٌ[153] بعَينِ الرَّكاكةِ، فيَكونَ لهم مَقامٌ عِندَ النَّاسِ ليَبلُغوا مِنهم مبلَغًا فاسِدًا كجَلبِ الدَّراهِمِ؛ فهذا كُلُّه غُرورٌ.

[الفرقة الخامسة]:

وفِرقةٌ أُخرى: تَرَكوا ما أهَمَّ من العُلوم[154]، واقتَصَروا على عِلمِ الفَتوى في الحُكوماتِ والخُصوماتِ، وتفاصيلِ المعامَلاتِ الدُّنيَويَّةِ الجاريةِ بينَ الخَلقِ لمصالِحِ المعايِشِ، وخُصوصًا اسمَ «الفِقهِ»، وعِلمَ المذهَبِ بذلكَ، ورُبَّما ضيَّعوا معَ ذلكَ عِلمَ الأعمالِ الظَّاهِرةِ والباطِنةِ، وإذا فاتَهم عِلمُها فاتَهم عمَلُها، ورُبَّما لم يتَفَقَّدوا الجَوارِحَ فلَم يَحرُسوا لسانَهم[155] مِن[156] الغِيبةِ والنَّميمةِ، والبَطنَ مِن[157] أكلِ الحرامِ، والرِّجلَ عن السَّعيِ إلى السَّلاطينِ، واليَدَ عن

---

(151) «أخلاق» ليس في (أ).

(152) «وخفايا خدع» في (ب): «وجفايا جزع».

(153) «إليهم أحد» في (ب): «أحد إليهم».

(154) «ما أهم» في (أ): «أمَلَهم»، وأشار ناسخ (ب) إلى أنه في نسخة أخرى: «أمَلَهم».

(155) «لسانهم» في (ب): «اللسان».

(156) «من» في (ب): «عن»، وأشار ناسخها إلى أن في نسخة أخرى: «من».

(157) «من» في (ب): «عن».

ضَربِ الفُقَراءِ المنكسِرين[158]، وكذا سائِرُ الجوارحِ، ولم يَحرُسوا قُلوبَهم عن عُيوبِها؛ مِن: كِبرٍ، وحَسَدٍ، ورياءٍ، وغيرِها من المهلِكاتِ.

وهؤلاء مَغرُورُونَ مِن وجهَين:

أحدُهما: مِن حيث العَمَلُ، وقَد ذَكَرتُ وجهَ عِلاجِه في «**الإحياءِ**»[159]، وأنَّ مِثالَهم مِثالُ المريضِ الَّذي تعلَّم الدَّواءَ من الحُكَماءِ ولم يعمَلْه لنَفسِه؛ فهؤلاء مُشرِفون على الهَلاكِ من حيث إنَّهم تركوا التَّزكيةَ لأنفُسِهم وتَحليَتَها بالأعمالِ الصَّالِحةِ الصَّادِقةِ، واشتَغَلوا بـ«كتابِ: الحَيضِ، والدِّياتِ، والدَّعاوي والبَيِّناتِ، والظِّهارِ [9/ب]، واللِّعانِ»، وضَيَّعوا في ذلكَ غالِبَ الأزمانِ، وإنَّما غرَّهم تعظيمُ الخَلقِ لهم وإكرامُهم، ورُجوعُ أحَدِهم إلى أن يكونَ قاضيًا، ونَحوَه[160]، ومِن شأنِهم طَعنُ كُلِّ واحِدٍ في صاحِبِه عِندَ غَيبَتِه، وإذا اجتَمَعوا زالَ الطَّعنُ.

والثَّاني: مِن حيث العِلمُ، وذلك لظَنِّهم أنه لا عِلمَ إلَّا ذلك[161]، وأنَّه الموصِلُ المنجِي، وإنَّما المنجِي حُبُّ اللهِ تعالى، ولا يُتَصَوَّرُ حُبُّ اللهِ تعالى إلَّا بمَعرِفَتِه، ومَعرِفَتُه ثلاثةٌ: معرِفةُ الذَّاتِ، ومَعرِفةُ الصِّفاتِ، ومَعرِفةُ الأفعالِ.

ومِثالُ هؤلاءِ مِثالُ مَنِ اقتَصَر على بيعِ الزَّادِ في طريقِ[162] الحَجِّ، ويَظُنُّ أنَّه من الحُجَّاجِ[163]، ولم يعلَم هذا أنَّ الفِقهَ هو: الفِقهُ عنِ اللهِ ومَعرِفَتُه بالأنوارِ القَلبيَّةِ؛ ليَمتَلِئَ القَلبُ خوفًا ويُلازِمَ التَّقوى.

ومِن هؤلاءِ مَن اقتَصَر في «عِلمِ الفِقه» على «الخِلافيَّاتِ»، ولا يَهُمُّه إلَّا العِلمُ بطَريقِ المجادَلةِ والإلزامِ وإفحامِ الخَصمِ ودَفعِ الحَقِّ لأجلِ المباهاةِ، فهو طولَ اللَّيلِ والنَّهارِ في

---

(158) «المنكسرين» في (ب): «المساكين»، وأشار ناسخها إلى أن في نسخة أخرى: «المنكسرين».

(159) محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدِّين، الطبعة الأولى، (جدة: دار المنهاج، إصدار2، 1440هـ)، كتاب (ذم الغرور)، (بيان أصناف المغترين وأقسام كل صنف)، 651/3.

(160) «ونَحوَه» في (ب): «أو نحوَه».

(161) «ذلك» في (أ): «بذلك».

(162) «طريق» ليس في (أ).

(163) «الحجاج» في (ب): «الحاج».

التَّفتيشِ في مُناقَضاتِ أربابِ المذاهِبِ، والتَّفَقُّدِ لعُيوبِ النَّاسِ[164] والأقرانِ، والتَّوَقُّعِ لهم في المصائِبِ؛ وهؤلاءِ لم يقصِدوا العِلمَ[165] قصدًا صحيحًا، وإنَّما قصَدوا مُباهاةَ الأقرانِ؛ فأضاعوا الأزمانَ، ولَو اشتَغَلوا بتَصفيةِ قُلوبِهم كانَ خيرًا لهم[166] مِن عِلمٍ لا ينفَعُ إلَّا في الدُّنيا، ثُمَّ ينقَلِبُ [10/أ] عليهم في الآخِرةِ نارًا تَلَظَّى، وأمَّا أدِلَّةُ المذهَبِ فيَشتَمِلُ عليها كِتابُ اللهِ وسُنَّةُ رسولِه صلى الله عليه وسلم.

[الفِرقةُ السادسة]:

وفِرقةٌ أُخرى: اشتَغَلوا بعِلمِ الكَلامِ، والمجادَلةِ، والرَّدِّ على المخالِفين، وتَتَبُّعِ مُناقَضاتِهم، واستَكثَروا مِن عِلمِ المقالاتِ المختلِفةِ.

وهم على فِرقتَينِ: الفِرقةُ الأُولى[167] ضالَّةٌ[168] مُضِلَّةٌ، والفِرقةُ الأُخرى مُحِقَّةٌ.

أمَّا غُرورُ الفِرقةِ الضَّالَّةِ: فلِغفْلتِها عن ضلالَتِها، وظَنِّها بنفسِها خيرًا، وإنَّما ضلُّوا مِن حيث إنَّهم لم يُحكِموا شُروطَ الأدِلَّةِ ومَناهِجَها، فظَنُّوا الشُّبهةَ دليلًا والدَّليلَ شُبهةً.

وأمَّا[169] **غُرورُ المُحِقَّةِ:** فمِن حيث إنَّهم ظَنُّوا أنَّ الجَدَلَ من أهَمِّ الأُمورِ وأفضَلِ القُرُباتِ في دينِ اللهِ تعالى، وزَعَمَت أنَّه لا يتِمُّ لأحَدٍ دينُه ما لم يفحَص[170] ويَبحَث، وأنَّ مَن صدَّقَ اللهَ تعالى مِن غيرِ بحثٍ وتَحريرِ دليلٍ فلَيسَ بمُؤمِنٍ ولا بكامِلٍ ولا بمُقَرَّبٍ عِندَ الله

(164) «الناس و» ليس في (أ).
(165) «العلم» في (أ): «علمًا».
(166) «لهم» ليس في (أ).
(167) «الأُولى» في (أ): «الواحدة».
(168) «ضالة» ليس في (أ).
(169) «وأمَّا» في (أ): «وإنما».
(170) «يفحص» في (ب): «يتفحص».

تعالى، ولَم يلتَفِتوا إلى القُرونِ الأُوَلِ[171] الَّذين شَهِد النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لهم بأنَّهم خيرُ الخَلقِ[172]، ولَم يُطلَب مِنهمُ الدَّليلُ، كما رواه أبو أُمامةَ رضيَ الله عنه[173].

[الفِرقةُ السابعة]:

وفِرقةٌ أُخرى: اشتَغَلوا بالوَعظِ، وبَيانِ أخلاقِ النَّفسِ، وصِفاتِ القَلبِ، مِن: الخَوفِ، والرَّجاءِ، والصَّبرِ، والشُّكرِ، والتَّوَكُّلِ، والزُّهدِ، واليَقينِ، والإخلاصِ، والصِّدقِ، وهم مَغرُورُونَ؛ لأنَّهم [10/ب] يَظُنُّونَ بأنفُسِهم إذا تكلَّموا بهذه الصِّفاتِ، ودَعَوا الخَلقَ إليها أنَّها صارَت مِن صِفاتِهم، وأنَّ ذلكَ يَسيرٌ سهلٌ لا ينفَكُّ عنه عَوامُّ المسلِمينَ، ويُعجَبون بأنفُسِهم غايةَ الإعجابِ، ويَظُنُّونَ أنَّهم تبَحَّروا في عِلمِ «المِحَبَّةِ»[174]، وأنَّهم مُحَبُّونَ عِندَ الله، وأنَّهم قدَروا على تحقيقِ دقائِقِ الإخلاصِ لكَونِهم مُخلِصين، وأنَّهم وقَفوا على خفايا عُيوبِ النَّفسِ، وأنَّهم عنها مُنَزَّهون.

كلَّا! بل أحَدُهم لم يَنَلْ مِن هذه الصِّفاتِ الحِسانِ[175] إلَّا التَّرجَمةَ عنها باللِّسانِ، وهو أحَبُّ في الدُّنيا مِن كُلِّ إنسانٍ يحُثُّ على الإخلاصِ وهو غيرُ مُخلِصٍ، ويُظهِرُ الدُّعاءَ

---

(171) «الأُوَل» في (أ): «الأُولى».

(172) أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري، في «صحيحه» المسمَّى بـ«الجامع المسنَد الصحيح المختصَر من أمور رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وسُنَنِه وأيَّامِه»، تحقيق: مجموعة من العلماء، (القاهرة: الأميرية، 1311هـ- السلطانية)، كتاب (الشهادات)، باب (لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد)، 171/3، برقم (2652)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ ومسلم في «صحيحه»، كتاب (فضائل الصحابة)، باب (فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)، 184/7، برقم (2533).

(173) أشار ناسخ (ب) إلى أن في نسخة أخرى بعده: «عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم»، وعبارة حجَّة الإسلام الغزالي، في «الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين» المسمى: «أصناف المغرورين»، تحقيق: عبد اللطيف عاشور، (القاهرة: مكتبة القرآن، 1406هـ)، ص44: «ورَوى أبو أُمامةَ عنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: **(ما ضَلَّ قومٌ قطُّ بَعدَ هُدًى كانوا عليه إلَّا أُوتُوا الجَدَلَ)**». والحديث أخرجه الترمذي في «سننه»، أبواب (المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، (باب)، ٤٥٦/5- 457، برقم (3535) وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»، وابن ماجه في «سننه»، أبواب (السنة)، باب (اجتناب البدع والجدل)، 33/1، برقم (48)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(174) «المحبة» في (أ): «التوحيد المحبة».

(175) «الحسان» في (ب): «الحسنة».

إلى اللهِ تعالى وهو مِنه فارٌّ، ويُخَوِّفُ باللهِ وهو مِنه آمِنٌ، ويُذَكِّرُ باللهِ وهو له ناسٍ[176]، ويُقَرِّبُ إلى اللهِ وهو منه[177] مُتَباعِدٌ، ويَذُمُّ الصِّفاتِ المذمومةَ وهو بها مُتَّصِفٌ، ويَصرِفُ النَّاسَ عنِ الخَلقِ وهو عليهم أشَدُّ حِرصًا؛ لو امتنَعُوا[178] عن مجلِسَه الَّذي يعِظُ فيه لضاقَت عليه الأرضُ بما رَحُبَت[179]، ولَو أُصلِحَ[180] الخَلقُ على يدِ غيرِه لماتَ هو غَمًّا وحَسَدًا، ولو أثنى أحدٌ من المتَرَدِّدينَ إليه على بعضِ أقرانِه لكانَ أبغَضَ خلقِ اللهِ تعالى إليهِ؛ فهؤلاءِ أشَدُّ النَّاسِ في الغُرورِ[181] والفَسادِ، وأبعَدُهم عنِ التَنبُّه والرُّجوعِ إلى السَّدادِ.

[الفِرقةُ الثامنة]:

وفِرقةٌ [11/أ] أُخرى: شَدَّدوا على أنفُسِهم في أعمالِ الجوارحِ، حتى إنَّ أحدَهم يُصلّي[182] في اليومِ واللَّيلةِ نحوَ ألفِ ركعةٍ، ويَختِمُ القُرآنَ في قليلٍ من الزَّمانِ، وهو في[183] جميعِ ذلك لا يَخطُرُ له مُراعاةُ القَلبِ، وتَفقُّدُه، وتطهيرُه من الرِّياءِ والكِبرِ والعُجبِ وسائرِ المهلِكاتِ، ورُبَّما يَظُنُّ أنَّ العباداتِ الظَّاهرةَ ترجُحُ بها كِفَّةُ الحَسَناتِ!

وهيهاتَ هيهاتَ[184]! ذرَّةٌ من ذي تقوى، وخُلُقٌ واحدٌ مِن خُلُقِ الأكياسِ أفضَلُ عِندَ اللهِ تعالى من أمثالِ الجِبالِ عَمَلًا بالجوارحِ.

ورُبَّما يَغتَرُّ أيضًا بقَولِ مَن يقولُ له: إنَّكَ مِن أوتادِ الأرضِ، ومِن أولياءِ اللهِ تعالى وأحِبَّائِه[185]، فيَفرَحُ بذلك، ويظهَرُ له تزكيةُ نفسِه، ولو شتَمه واحِدٌ يومًا لكَفَرَ وكَفَّره، وخاصَم مَن فعَل ذلك به وأهَرَه، فهو بذلك في غايةِ الإفلاسِ، ومَلعَبةٌ للوَسواسِ.

[الفِرقةُ التاسعة]:

---

(176) «ناسٍ» في (ب): «ناسي».

(177) «منه» ليس في (أ).

(178) «امتنعوا» في (ب): «مُنِعوا».

(179) «بما رحبت» ليس في (أ).

(180) «أُصلِح» في (ب): «أصلَح الله».

(181) «في الغرور» في (ب): «بالغرور».

(182) «يصلي» في (أ): «يختم».

(183) «في» في (ب): «مع»، وأشار ناسخها إلى أن في نسخة أخرى: «في».

(184) «هيهات» الثانية ليست في (أ).

(185) «وأحبائه» في (أ): «وأحبابه».

وفِرقةٌ أُخرى: حرَصتُ على النَّوافلِ، ولم يَعظُمِ اعتِدادُها بالفرائضِ؛ فيفرَحُ أحدُهم بنحوِ «صلاةِ الضُّحى» و«صلاةِ اللَّيلِ»، ولا يجِدُ لصلاةِ الفريضةِ لذَّةً ولا أُنسًا فيها باللهِ تعالى؛ لشِدَّةِ تعَلُّقِه بالنَّوافِلِ، ظَنًّا مِنه بأنَّها تُقَرِّبُه[186] إلى اللهِ تعالى أكثَرَ من تقريبِ الفرائضِ إليه سبحانه وتعالى، وقد غَفَل عن قولِه صلى الله عليه وسلم في الحديثِ القُدُسيِّ: «**ما تقَرَّب إليَّ المُتقَرِّبون بأفضَلَ من أداءِ ما افترَضتُه [11/ب] عليهم**»[187]؛ فعَدَمُ مَعرفةِ ذلك جَهلٌ مُضِرٌّ.

ورُبَّما كان عليه فُروضٌ مُنكَسِرةٌ بسببِ مرَضٍ أو غيرِه، فيَشتغِلُ بكثرةِ النَّوافلِ عن قضاءِ ما عليه، ورُبَّما طُلِب منه فرضانِ:

أحدُهما: يُخافُ فَوتُه. **والآخَرُ**[188]: لا؛ لسَعةِ وَقتِه؛ فيَتعَيَّنُ العِلمُ بذلكَ حتى لا يقَعَ في عِصيانٍ، كما يتعَيَّنُ تقديمُ[189] فُروضِ الأعيانِ على غيرِها، وبعضِ فُروضِ الأعيانِ على بعضِها؛ كتقديمِ حقِّ الوالدةِ[190] بالتعظيمِ والتَّبجيلِ على حقِّ الوالدِ[191]، وتقديمِ نفقةِ الزَّوجةِ والأبوَينِ على الحجِّ.

فهؤلاء مُتَّصِفون بصفاتِ أهلِ العِلمِ من غيرِ حقيقةٍ فوقَعوا[192] في العِصيانِ، وهذا كلُّه غُرورٌ من الشَّيطانِ إلا مَن عَصَمه اللهُ الحَنَّان» انتَهى.

---

(186) «تُقرِّبه» في (أ): «تُقرِّب».

(187) أخرجه البخاري، في «صحيحه»، كتاب (الرقاق)، باب (التواضع)، 105/8، برقم (6502)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «**ما تقَرَّبَ إليَّ عبدي بشَيءٍ أحَبَّ إليَّ مِمَّا افتَرَضتُ عليهِ**».

(188) «والآخر» سقط من (أ).

(189) «تقديم» مكررة في (أ).

(190) «الوالدة» في (أ): «الولادة».

(191) «الوالد» في (أ): «الولد».

(192) «فوقعوا» سقط من (أ).

قُلتُ: قد عُلِمَ من كلامِه –رحمه اللهُ تعالى– أنَّ الضَّررَ إنَّما هو من المخالَفةِ بعِصيانِ الجوارحِ أوِ الباطن، وعلى قَدرِ عِلمِ الشَّخصِ باللهِ تعالى يكونُ خَوفُه: «العارِفونَ واقِفونَ على قدَمِ الخوفِ[193]» [194].

وما أحسَنَ ما قيلَ:

عَلَى قَدْرِ عِلْمِ الْمَرْءِ يَعْظُمُ خَوْفُهُ *** وَمَا عَالِمٌ إِلَّا مِنَ اللَّهِ خَائِفُ

فَآمِنٌ مَكْرَ اللَّهِ بِاللَّهِ جَاهِلُ *** وَخَائِفٌ مَكْرَ اللَّهِ بِاللَّهِ عَارِفُ[195]

فالحَذَرَ كُلَّ الحَذَرِ مِنِ اتِّباعِ النَّفسِ هواها؛ ولذا قال القَسطَلَّانيُّ –رحمه اللهُ تعالى– في «**المَواهِبِ اللَّدُنِّيَّةِ**»[196] ما مُلَخَّصُه: «اعلَم أنَّ ضرَرَ الذُّنوبِ في القُلوبِ كضَرَرِ السُّمومِ في الأبدانِ، على اختِلافِ درَجاتِها في الضَّرَرِ. وهل في الدُّنيا والآخرةِ ضرَرٌ وشَرٌّ وداءٌ إلَّا وسَبَبُه الذُّنوبُ؟

فللمعاصي[197] من الآثارِ [12/أ] القبيحةِ المذمومةِ المضِرَّةِ بالقلبِ والبَدَنِ والدُّنيا والآخرةِ[198] ما لا يعلَمُه إلَّا اللهُ تعالى.

منها: حِرمانُ العِلمِ، فإنَّ العِلمَ نُورٌ يقذِفُه اللهُ تعالى في القَلبِ، والمعصيةُ تُطفِئُ ذلك النُّورَ.

ومنها: حِرمانُ الرِّزقِ.

---

(193) «الخوف» سقط من (أ).

(194) ورَدت هذه العبارةُ ضمنَ «الأوراد والأذكار التي كانت تُقرَأُ فوقَ مآذن الحرم الشَّريف قُربَ الصُّبح»، ولفظُها: «العارِفونَ واقِفونَ على قدَمِ الخَوفِ والافتِقار، لا يَستَقِرُّ لهم قَرار؛ كُلَّما جَدُّوا وجَدوا، وكُلَّما جاهَدوا شاهَدوا جمالَ وكَمالَ مَن لا تُدرِكُه الأبصار». ذكَر هذه الأورادَ أيوب صبري باشا، في: موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، ترجمة: مجموعة من الباحثين، (القاهرة: دار الآفاق العربية، 1424هـ)، 759/2.

(195) البيت الثاني موضعه في (أ):

فَخَائِفٌ مَكْرَ اللَّهِ بِاللَّهِ آمِنٌ *** وَآمِنٌ مَكْرَ اللَّهِ بِاللَّهِ خَائِفُ

وأشار ناسخ (ب) إلى أن في نسخة أخرى: البيت الثاني الذي أثبتُّه.

(196) أحمد بن محمد القسطلَّاني، المواهب اللدُنيَّة بالمِنَح المحمديَّة، تحقيق: صالح الشامي، الطبعة الثانية، (بيروت: المكتب الإسلامي، 1425هـ)، 408/3– 409.

(197) «فللمعاصي» في (أ): «فالمعاصي».

(198) «والدنيا والآخرة» في «المواهب اللَّدُنيَّة»: «في الدنيا والآخرة».

ومنها: وَحشةٌ يجِدُها العاصي في قَلبِه[199] بينَه وبينَ ربِّه تعالى[200].

ومنها: تعسيرُ أُمورِه عليه.

ومنها: ظُلمةٌ يجِدُها في قَلبِه حقيقةً، يَحُسُّ بها.

ومنها: أنها تُوهِنُ القَلبَ والبَدَنَ.

ومنها: حِرمانُ الطَّاعةِ، وتقصيرُ العُمُرِ، ومَحْقُ البَرَكةِ.

ومنها: أنَّها تورِثُ الذِّلَّةَ.

ومنها: أنَّها تُفسِدُ العَقلَ.

ومنها: أنَّها تُزيلُ النِّعَمَ، وتُحِلُّ النِّقَمَ؛ فما زالَت عنِ العَبدِ نِعمةٌ إلَّا بذَنبٍ، ولا حَلَّت به نِقمةٌ إلَّا بذَنبٍ» انتهى[201].

ثُمَّ اعلَم أيُّها المِسكينُ -إن كُنتَ مِمَّن يُريدُ اللَّهَ تعالى لا غيرُ، ويَسلَمُ[202] من الدُّنيا والأُخرى من كُلِّ ضَير- أنَّ المقصودَ بيانُ هذه الفِرَقِ وأحوالِها؛ لتَتَأمَّلَها لنفسِك مُلِيمًا، ومُخالِفًا لها لئلَّا تَهلِك.

وليس المرادُ أن تُفَتِّشَ عُيوبَ غيرِك من العُلَماء، وتَظُنَّ بنَفسِك خيرًا، وبهم سُوءًا[203] فتَقَعَ في الرَّدى؛ لأنَّ هذا عينُ الهَلاكِ والفَسادِ، وسَبَبٌ لعدَمِ الاعتقادِ، وذلك يُوجِبُ الحِرمانَ مِن فيضِ نفَحاتِ الرَّحمَنِ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[المدثر: 38]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الأنعام: 164]؛ فسَعيُك في صلاحِ نفسِك أحَقُّ وأجدَرُ وأَولى وأَحرى.

ولذا قال ابنُ دُرَيدٍ المشهورُ[204] [12/ب]:

لَا تَحْقِرَنَّ عَالِمًا وَإِنْ خَلِقَتْ *** أَثْوَابُهُ فِي عُيُونِ رَامِقِهِ

---

(199) «في قلبه» في (أ): «بقلبه».

(200) بعده في (أ) مكرَّرًا: «ومنها: حِرمانُ الرِّزقِ».

(201) «انتهى» ليس في (أ)، أي: انتهى النَّقل عن «المواهب اللَّدُنِّيَّة» للقسطلَّاني.

(202) «ويسلم» في (أ): «وتسلم».

(203) «وبهم سوءًا» في (أ): «وتتَّهم سواك».

(204) كما رواه عنه علي بن محمد الماوردي، في: أدب الدنيا والدين، (دار مكتبة الحياة، 1986م)، ص68.

وقال غيرُه[205]:

أَجْدَرُ النَّاسِ بِالْعُلَا الْعُلَمَاءُ *** فَهُمُ الصَّالِحُونَ وَالْأَوْلِيَاءُ
سَادَةٌ، ذُو الْجَلَالِ أَثْنَى عَلَيْهِمْ *** وَعَلَى مِثْلِهِمْ يَطِيبُ الثَّنَاءُ
وَبِهِمْ تُمْطِرُ السَّمَاءُ، وَعَنَّا *** يُكْشَفُ السُّوءُ وَيَزُولُ الْبَلَاءُ
خَشْيَةُ اللهِ فِيهِمُ ذَاتُ حَصْرٍ *** أَفَفِي[206] غَيْرِهِمْ يَكُونُ الْعَلَاءُ
فَالْوَرَىٰ[207] جِسْمُ وَهُمْ فِيهِ رُوحٌ *** وَالْبَرَايَا مَوْتَىٰ وَهُمْ أَحْيَاءُ
فَتَعَفَّفْ عَنْ لَحْمِهِمْ فَهْوَ سُمٌّ *** جَلَّ[208] مِنْهُ الضَّنَا وَعَزَّ الشِّفَاءُ
قَدْ رَأَيْنَا فِي كُلِّ[209] دَهْرٍ عُيُونًا *** وَلَعَمْرِي هُمْ لِلْعُيُونِ ضِيَاءُ
لَا يُبَالُونَ مَا يَقُولُ جَهُولٌ *** أَنَهِيقٌ[210] كَلَامُهُ أَوْ عُوَاءُ
وَإِذَا الْكَلْبُ فِي ظَلَامِ اللَّيَالِي *** نَبَحَ الْأَرْضَ لَا تُبَالِي السَّمَاءُ
فَلْيَبُؤْ بِالشَّقَاءِ[211] كُلُّ جَهُولٍ *** وَلْيَفُزْ[212] بِالسَّعَادَةِ الْعُلَمَاءُ

***

(205) وهو: أحمد بن محمد الهائم، (ت.887هـ). يراجع: السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، تحقيق: د.فيليب حتّى، (بيروت: المكتبة العلمية، 1977م)، ص89.

(206) «أفففي» في «نظم العقيان»: «أَوَفِي»، وذكر محقِّقه إلى أن في نسخة أخرى: «أففي».

(207) «فالورى» في (ب) و«نظم العقيان»: «فالبرايا».

(208) «جل» في (ب) و«نظم العقيان»: «حل».

(209) «في كل» في (ب): «لكل».

(210) «أنهيق» في (ب): «بل نهيق».

(211) «بالشقاء» في (ب): «بالشَّقَا».

(212) «وليفز» في «نظم العقيان»: «ولتقر»، قال محقِّقه: «ولعل الصواب: ولتفز»؛ وهذا من حنكة المحقِّق وجودةِ تفكيره في النَّص، وأيضًا فإنَّ هذا النصَّ يُصحِّح ما غاب عنَّا في نصِّ «نظم العقيان»، وهذا يدلُّ على أنَّ النصوصَ يخدم بعضُها بعضًا.

[بيانُ غُرورِ المُتصوِّفةِ]:

وأمَّا بيانُ غُرورِ المُتصوِّفةِ:

فقد جعَلهمُ الإمامُ الغزاليُّ في كتابِه المذكورِ فِرَقًا[213]، فقال[214]:

[الفرقة الأولى]:

فِرقةٌ اغترَّت بالزِّيِّ والمنطقِ والهيئةِ، فشابَهوا الصَّادِقينَ مِن الصُّوفيَّةِ في زيِّهم وهَيئَتِهم وألفاظِهم وصورةِ آدابِهم، وتواضُعِهم واصطِلاحاتِهم وأحوالِهم الظَّاهرةِ[215] في السَّماعِ والرَّقصِ، والطَّهارةِ والجُلوسِ على السَّجَّادةِ، معَ إطراقِ الرَّأسِ وإدخالِه [13/أ] الجَيبَ[216] كالمتَفَكِّرِ، ثُمَّ يتَنَفَّسُ تنَفُّسَ الصُّعَداءِ، وفي خفضِ الصَّوتِ في الكَلامِ، وفي الصِّياحِ[217]، إلى غيرِ ذلكَ.

فلمَّا تعَلَّموا ذلك، وفَعَلوه، ظَنُّوا أنَّ ذلك هو الطَّريق، وأنَّه يُنجِيهم مِن غيرِ تَعويق، ولم يُتعِبُوا أنفُسَهم قَطُّ بالمجاهَدةِ والرِّياضةِ والمراقَبةِ والمكابَدةِ وتطهيرِ الباطِنِ والظَّاهِرِ مِنَ العُيوبِ الخَفِيَّةِ والجَلِيَّةِ.

ثُمَّ إنَّهم بعدَ ذلك يتَكالَبون على الشُّبُهاتِ والحرامِ، ويتنافَسون في الرَّغيفِ والفَلسِ، ونحوِ ذلك من الحُطامِ، ويُمَزِّقُ بعضُهم أعراضَ بعض؛ لغَرَضٍ نَفسيٍّ أو مَرَض قلبيٍّ[218].

ومِثالُهم مَثَلُ[219] عجوزٍ سمِعَت أنَّ الشُّجعانَ والأبطالَ يُثبِتُ السُّلطانُ أسماءَهم في الدِّيوانِ، فتَزَيَّت هي بزيِّهم، ووصَلت إلى الملِكِ، وعرَضت عليه، فوزَنها بميزانِ الحِذْقِ والفِراسةِ

---

(213) يراجع: الغزالي، «الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين» المسمى: «أصناف المغرورين»، ص67-75.

(214) «فقال» ليس في (أ).

(215) «الظاهرة» ليس في (أ).

(216) «الجيب» في (ب): «في الجيب».

(217) «وفي الصياح» ليس في (أ).

(218) «قلبي» ليس في (أ).

(219) «مثل» في (ب): «مثال».

فعَلِمَها عجوزَ سُوءٍ، فقيلَ لها: أما تستَحي مِن استِهزائِكِ بالملِكِ؟ وأنتِ تَعلَمينَ أنَّه يَعلَمُ ما يُفعَلُ[220]؟ فقيلَ: اطرَحوها حولَ الفيلِ، فطَرَحوها[221] فركَضها برِجلِه حتَّى ماتَت.

[الفرقة الثانية]:

وفِرقةٌ أُخرى: ازدادَت على هؤلاء في الغُرورِ؛ إذ صَعُب عليها الاقتداءُ، فأخَذوا[222] في الثِّيابِ[223] البِذْلَةِ[224]، والرِّضا بالدُّونِ في المِطعَمِ والمنكَحِ والمِسْكَنِ[225]، وأرادَت أن تتظاهَر[226] بالتَّصوُّف، ولَم تجِد بُدًّا مِنَ التَّزَيِّي بزِيِّ الصُّوفيَّةِ، فتَرَكَتِ الخَزَّ والإبْرِيسَمُ[227]، وطَلَبَتِ المرَقَّعاتِ النَّفِيسةَ[228]، والفُوَطَ الرَّفيعةَ، والسَّجَّاداتِ المصنوعةِ، وقيمَتُها أكثَرُ مِن قيمةِ الحَريرِ، ولا يجتَنِبونَ معصيةً، ولا يترُكونَ الشَّهوةَ، وإنَّما غرَضُهم رغَدُ العَيشِ، وأكلُ أموالِ النَّاسِ، وهم [13/ب] معَ ذلك يَظُنُّونَ بأنفُسِهم خيرًا؛ وهم أشَدُّ ضرَرًا على المسلِمين منَ ضَرِرِ اللُّصوصِ؛ لأنَّهم يَسرِقونَ القُلوبَ بزيِّهم، ويَقتَدي الجَهولُ بغَيِّهم.

[الفِرقةُ الثالثة]:

وفِرقةٌ أُخرى: ادَّعَت عِلمَ المكاشَفةِ، ومُشاهَدةَ الحَقِّ[229]، ومُجاوَزةَ المقاماتِ، والواجِدُ مِنهم لا[230] يَعرِفُ شيئًا مِن ذلك، ولا وَصَل إليه، ولا عرَف مُسَمَّاه، ولا اطَّلَع عليه، وإنَّما تلَقَّف ألفاظًا يُرَدِّدُها، ويَظُنُّ أنَّ تلك من أنفَسِ عِلمِ الأوَّلينَ والآخِرين، وربَّما

---

(220) «وأنت تعلمين أنه يعلم ما يفعل» ليس في (أ).

(221) «فطرحوها» في (ب): «فطُرِحت».

(222) «فأخذوا» ليس في (أ).

(223) «في الثياب» مكرر في (أ).

(224) «في الثياب البِذلة» في (ب): «في بذاوة الثياب»، وأشار ناسخُها إلى أنَّه في نسخة أخرى: «في الثياب البِذلة». والبِذْلَة: ما يُمتَهَنُ من الثِّياب. يراجع: زين الدِّين الرازي، مختار الصحاح، المكتبة العصرية- بيروت، ط5، 1420هـ- 1999م، ص31.

(225) «في المطعم والمنكح والمسكن» ليس في (ب).

(226) «تتظاهر» في (أ): «تتضاهى»، وأشار ناسخ (ب) إلى أن في نسخة أخرى: «تتضاهى».

(227) «فتركت الخز والأبريسم» ليس في (أ). و«الإبْرِيسَمُ»: الحرير. يراجع: الزبيدي، تاج العروس، 5/31، ٢٧، مادة: (ب.ر.س.م)

(228) «النفيسة» ليس في (أ) و(ب)، ذكرها ناسخ (ب) عن نسخة أخرى.

(229) «ومشاهدة الحق» مكررة في (أ).

(230) «لا» في (ب): «لم».

ينظُرُ للعُلَماءِ والمحَدِّثينَ بعَينِ الازدِراءِ فضلًا عنِ العَوامِّ، ويَقولونَ في حقِّ العُبَّادِ: إنَّهم أُجَراءُ مُتعَبون[231]، وفي حقِّ العُلَماءِ: إنَّهم بالحَديثِ مَحجُوبون؛ وما يُدريكَ أهذا المِسكينُ عِندَ أربابِ القُلوبِ مِنَ الحَمقى الجاهِلين، وعِندَ اللَّهِ تعالى مِن الفُجَّارِ الخائِبين؟!

[الفرقة الرابعة]:

وفِرقةٌ أُخرى: جاوَزت هؤلاءِ فأحسنَتِ الأعمالَ، وطَلَبَتِ الحَلالَ، واشتَغَلَت بتَفَقُّدِ القُلوبِ، وصارَ أحَدُهم يدَّعي المقاماتِ من: الزُّهدِ، والتَّوَكُّلِ، والرِّضا، والحُبِّ، مِن غيرِ وُقوفٍ على حقيقةِ هذه المقاماتِ وشُروطِها وعَلاماتِها وآفاتِها، فمنهم مَن يدَّعي الوَجدَ وحُبَّ[232] اللهِ تعالى، ويزعُمُ[233] أنَّه والِهٌ باللهِ تعالى، ولعلَّه قد تخَيَّل خيالاتٍ فاسِدةً هي بِدعةٌ أو كُفرٌ؛ لأنَّه يدَّعي حُبَّ اللهِ قبلَ مَعرفتِه[234]، وذلكَ لا يُتَصَوَّرُ قَطُّ، ثُمَّ إنَّه لا يَخلُو من معارَضةِ[235] اللهِ تعالى، وإيثارِ هوى نفسِه على أمرِ اللهِ [14/أ]، وعن تركِ بعضِ الأوامرِ[236] حياءً من الخَلقِ، ولو خلا لما تَرَكها حياءً من اللهِ تعالى، ولم يَدرِ[237] المِسكينُ أنَّ كُلَّ ذلك مُناقِضٌ لِحُبِّ اللهِ تعالى.

[الفِرقةُ الخامسة]:

وفِرقةٌ أُخرى: ضَيَّقت على نفسِها أمرَ القُوتِ؛ حيث طلَبَت مِنه الحَلالَ الخالصَ[238] في المطعَمِ والملبَسِ، وغيرِ ذلك[239]، وقَصَّرت في الأعمالِ الصَّالِحةِ، وأهمَلت تَفَقُّدَ القلبِ والجوارِحِ من غيرِ هذه الخَصلةِ الواحدة.

---

(231) «متعبون» في (أ): «متعبدون».

(232) «وحب» في (أ): «والحب في».

(233) «ويزعم» في (أ): «وزعم».

(234) «يدعي حب الله قبل معرفته» في (أ): «ادَّعى الحُبَّ قبلَ المعرِفة».

(235) «من معارضة» في (أ): «عن مُقارَفةِ ما يكرَه».

(236) «الأوامر» في (أ): «الطاعات»، وأشار ناسخ (ب) إلى أنه في نسخة أخرى: «الطاعات».

(237) «ولم يدر» في (ب): «ولا يدري».

(238) «الخالص» ليس في (أ)، وأشار ناسخ (ب) إلى أنه في نسخة أخرى: «ولم يدر».

(239) «وغير ذلك» ليس في (أ).

ومنهم مَن أعمَل الحلالَ في مَطعَمِه ومَلبَسِه ومَسكَنِه[240]، يتعَمَّقُ في ذلك، ولم يَدرِ المِسكينُ أنَّ اللهَ تعالى لم يَرضَ من العِبادِ إلَّا بالكمالِ في الطَّاعاتِ، فمَن اتَّبَع[241] البَعضَ وأهمَلَ البَعضَ؛ فهو مَغرورٌ.

[الفِرقةُ السادسة]:

وفِرقةٌ أُخرى: ادَّعَت حُسنَ الخُلُقِ، والتَّواضُعَ، والملاطَفةَ، والسَّماحةَ، وتكلَّفوا[242] خِدمةَ بعضِ الصُّوفيَّةِ، وأظهَروا أنَّ غرَضَهمُ الخِدمةُ والتَّبَعيَّةُ، وإنَّما غَرَضُهم جَمعُ المالِ مِن حلالٍ وحرامٍ؛ لأنَّهم يجمَعونه من الظَّلَمةِ والحُكَّامِ، ويَزعُمونَ أنَّ غَرَضَهمُ[243] الإنفاقُ على الفُقَراءِ والمساكينِ والأيتامِ؛ ومِثالُ ذلكَ كالَّذي يَعمُرُ مَسجِدًا للَّهِ تعالى ويُطَيِّنُه بالعَذِرةِ، ويَظُنُّ أنَّ ذلك عِمارةٌ مُعتبَرةٌ.

[الفِرقةُ السابعة]:

وفِرقةٌ أُخرى: اعتبَرت، فاشتغَلت بالمجاهَدةِ، وتهذيبِ الأخلاقِ، وتطهيرِ النَّفسِ مِن عُيوبِها، وليس عندَهم عِلمٌ بخِداعِها، ولا وُقوفٌ على حقيقةِ عُيوبِها، وإنَّما اشتغَلوا[244] عن ذلك بكلماتٍ مُسَلسَلةٍ، وضَيَّعوا فيها أوقاتَهم؛ فمِثالُهم مِثالُ مَنِ اشتغَل بآفاتِ الحَجِّ وعوائِقِه، ولم يَسلُك طريقَه، وذلك لا يُغنِيه [14/ب] عنِ الحَجِّ.

[الفِرقةُ الثامنة]:

وفِرقةٌ أُخرى: جاوَزت هذه الرُّتبةَ، فابتَدَرُوا سُلوكَ الطَّريقِ، وانفَتَحَت لهم أبوابُ المعرِفةِ، لكنَّهم لمَّا شَمُّوا رائحةَ مبادئِ المعرِفةِ تعَجَّبوا منها، وفَرِحُوا بها، فتَعلَّقت قُلوبُهم بها، فوَقَفوا عندَها؛ وهذا كلُّه غُرورٌ؛ لأنَّ عجائبَ طريقِ[245] معرفةِ اللهِ تعالى ليس لها نهايةٌ،

---

(240) «وأهملت ... ومسكنه» ليس في (أ).

(241) «الطاعات، فمن اتبع» ليس في (أ).

(242) «وتكلفوا» في (ب): «فقصدوا»، وأشار ناسخ (ب) إلى أنه في نسخة أخرى: «وتكلفوا».

(243) «جمع المال ... أن غرضهم» أشار ناسخ (ب) إلى أن موضعها في نسخة أخرى: «التكبر وهم يظهرون أن غرضهم».

(244) «اشتغلوا» في (ب) «استغنوا».

(245) «طريق» ليس في (أ).

فمَن وقَف عندَ أُعجوبةٍ منها[246]، وتقيَّد بها قصُرَت خُطاه، وقَلَّت هِمَّتُه، وحُرِم الوُصولَ إلى المقصودِ[247].

ومِثالُه كمِثالِ مَن قَدِم على المَلِكِ يُريدُ الاجتِماعَ به؛ ليُحَصِّلَ[248] مَقصودَه، فلَمَّا وَصَل إلى البابِ رأى عِندَه رَوضةً فيها: أزهارٌ، وأطيارٌ، ومياهٌ، ولم يكن رأى مثلَها[249]، فأعجَبته، فوقَف ينظُرُ إليها حتى زالَ الوقتُ الَّذي كان يُمكِنُه فيه الاجتِماعُ بالمَلِكِ، وفاتَه المقصودُ فانصرَف خائبًا.

[الفِرقةُ التاسعة]:

وفِرقةٌ أُخرى: قد جاوَزت هؤلاء، وقَد أطالَ الكَلامَ عليها[250]، ولا حاجةَ لذِكرِها هاهُنا؛ لظُهورِ أنَّ المطلوبَ الحقيقيَّ عندَ أهلِ القُلوبِ والبصائرِ: الوُصولُ إلى المعبودِ القادرِ القاهرِ، وذلك بعدَ المعرفةِ الرَّبَّانيَّةِ بالأنوارِ القَلبيَّةِ.

وسَبَبُه: الإخلاصُ، والمجاهَدةُ في العباداتِ، على السَّنَنِ المحَمَّديِّ، معَ: مُخالَفةِ النَّفسِ، والمكابَدةِ، ومَعَ: عدَمِ الوُقوفِ عِندَ النِّعَمِ، ودَوامِ السَّيرِ في الطَّريقِ على أقوَمِ قَدَم، والازديادِ من معرفةِ اللهِ تعالى؛ إذ ليس لها[251] غايةٌ، وذلك [15/أ] يُثيرُ[252] محبَّةَ اللهِ تعالى الَّتي هي المقصودُ، وليس لها نهايةٌ.

ولا بُدَّ مِن أُستاذٍ واصلٍ له خِبرةٌ بالطَّريقِ وعَوائقِه، ومعرِفةٌ بعلاماتِ الوُصولِ وشوارقِه، فإذا ظَفِرتَ به فقد ظَفِرتَ بكَنزِ السَّعادةِ.

ولهذا قال بعضُ العارِفين[253]:

وَغُنمُ مُريدٍ في انقيادٍ لكامِلٍ *** له خِبرةٌ بالوَقتِ والعِلمِ والحالِ

---

(246) «منها» ليس في (أ).

(247) «إلى المقصود» ليس في (أ).

(248) «ليحصل» في (ب): «لتحصيل».

(249) «ولم يكن رأى مثلَها» ليس في (أ).

(250) يراجع: الغزالي، «الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين» المسمى: «أصناف المغرورين»، ص74-75.

(251) «لها» ليس في (أ).

(252) «يثير» في (أ): «سر».

(253) وهو الإمام سيِّدي إبراهيم التازي. يراجع: أحمد بن علي الوادي آشي، في: النَّبَت، تحقيق: عبد الله

هو السِّرُّ والإكسيرُ والكيميا لمن *** أرادَ وُصولًا أو بَغى نيلَ آمالِ

[الفرقة العاشرة]:

وقد حدَث بعدَ الإمامِ الغزاليّ:

فِرقةٌ أُخرى: يتَزَيَّونَ بزيِّ الصُّوفيَّةِ والعُلماءِ، ولهم إلمامٌ بمُعاشَرةِ الأحداثِ، ويُسَمُّونهم: بداياتٍ، وذلك مِن أعظَمِ البَلِيَّاتِ المهلِكاتِ، ولم ينظُروا لتسميةِ السَّادةِ الصُّوفيَّةِ لهم بـ«الأنتانِ»؛ لأنَّهم جِيَفٌ مُستَقذَراتٌ عندَ أهلِ البصائرِ والعِناياتِ؛ فتجِدُ أهلَ تلك البَلِيَّاتِ قُلوبُهم بـ«الأنتانِ» مُتَعَلِّقةٌ، وأعيُنُهم إليهم دائِمًا مُحْدَقة، وأنفُسُهم إليهم أبدًا مائِلةٌ، وشَهَواتُهم فيهم غائلةٌ[254]، فصارَت أفئِدَتُهم بهم مَفتونةً مَعلولةً، وأعمالُهم مَردودةً غيرَ مقبولةٍ، وضاعَت بذلك أوقاتُهم، وقَلَّت بَرَكاتُهم، وانخَبَلت إدراكاتُهم، وانعَكَست حالاتُهم، وأنزَل اللهُ تعالى بُغضَهم في قلبِ كُلِّ إنسان، فيمقُتُهم بالقَلبِ بل وباللِّسانِ عِندَ الإمكان؛ فهم دائِمًا في ذُلٍّ وهَوان، ومَقتٍ وخُسران، وفِكرَتُهم [15/ب] دائِمًا في وساوِسِ الشَّيطانِ، وفِكرةُ العارِفينَ أبدًا في معارفِ[255] الرَّحمَنِ، فشَتَّانَ ما بينَ الفَريقَينِ شَتَّانَ! ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[الجاثية: 21].

وربَّما اقتصَر أحدُهم على النَّظَرِ، وظَنَّ أنَّه مِن الإثمِ سالِمٌ، كلَّا! بل واللهِ إنَّه آثِمٌ، ثُمَّ آثِمٌ، ثُمَّ آثِمٌ، صرَّح بذلك كثيرٌ مِن أئمَّتِنا الثِّقاتِ، وكيفَ لا، وهو موجِبٌ للحِرمانِ مِن أعظَمِ الخيراتِ والبَرَكاتِ؟

العمراني، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1403هـ)، ص328.

(254) أي: تغتالُ عقولَهم. يراجع: أحمد بن محمد أبو عبيد، الغريبين في القرآن والحديث، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، (السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419هـ)، 1394/4.

(255) «معارف» في (ب): «معرفة»، وأشار ناسخ (ب) إلى أنه في نسخة أخرى: «معارف».

فقد نقَل شمسُ الدِّينِ سيِّدي محمَّدُ بنُ الرَّمليِّ[256] وغيرُه: أنَّ [أبا][257] عبدِ اللهِ الجَلَّاء[258] قال: «كنتُ أمشي معَ أُستاذي يومًا فرَأيتُ حَدَثًا جميلًا، فقُلتُ له: يا أُستاذي تُرَى يُعَذِّبُ اللهُ هذه الصُّورةَ؟ فقال لي: سَتَرى غِبَّه، فنَسيَ القُرآنَ العظيم بعد ذلك[259] عِشرينَ سَنةً»[260].

قال في «**طهارةِ القُلُوبِ**»[261]: «ورُئِي يُوسفُ بنُ الحُسَينِ[262] في المنامِ بعدَ موتِه، فقيل له: ما فعَل اللهُ بك؟ قال: غفَر لي كلَّ ذَنبٍ إلا ذَنبًا واحدًا، فإنَّه أوقفني عليه[263] حتى سقَط لحمُ وجهي من الحياء منه، فقيل: وما هو؟ قال: نظَرتُ إلى غُلامٍ أمردٍ بشهوةٍ» انتهى[264].

فانظُر أيُّها المسكينُ المدَّعي العَقلَ والدِّينَ كمْ أوجَبَت هذه النَّظرةُ مِن بُعدٍ وحَسرةٍ، فما بالُك بالمفتونِين، فنكالُهم وخِزيُهم مُدَّخَرٌ لهم إلى يومِ[265] الدِّين، معَ ما هم عليه في الدُّنيا مِن الخُسرانِ المبينِ!

---

(256) محمد بن أحمد الرَّملي، في: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، (بيروت: دار الفكر، 1404هـ)، 192/6.

(257) زيادة مني يُوجِبُها التفريق بين كنيتِه واسمِه؛ لأن اسمَه: «أحمد» وليس «عبد الله»؛ كما سيأتي في ترجمته.

(258) أحمد بن يحيى الجَلَّاء الصُّوفي، أحد مشايخ الشام زهدًا وورعًا، (ت.306هـ). يراجع: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، 458/16-٤٦٠.

(259) «العظيم بعد ذلك» ليس في (ب)، وفي رواية أخرى في «تاريخ دمشق»: «فوجدت غِبَّها بعدَ أربعين سنة».

(260) أخرجه علي بن الحسن ابن عساكر، في: تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمر غرامة، (بيروت: دار الفكر، 1415هـ)، 84/6.

(261) عبد العزيز بن أحمد الديريني، طهارة القلوب والخضوع لعلَّام الغيوب، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ)، ص56.

(262) «الحسين» في (ب): «الحسن»؛ والمثبَت من «طهارة القلوب»؛ حيث ترجّحه المصادر.

(263) «عليه» في «طهارة القلوب»: «فيه».

(264) من قوله: «في (طهارة القلوب)» إلى هنا ليس في (أ).

(265) «إلى يوم» في (أ): «ليوم».

فرَحِم اللهُ القُطبَ الرَّبَّانيَّ العارِفَ باللهِ تعالى يحيى النَّوَويَّ؛ حيث قال بحُرمةِ النَّظَرِ إلى «الأنتانِ» مُطلَقًا مِن غيرِ تفصيل[266].

ووافَقه عليه الشِّهابُ ابنُ حجَرٍ، وجعَل عليه الاعتِمادَ والتَّعويل[267] [16/ب].

وأمَّا قولُ بعضِهم كالشَّمسِ الرَّمليِّ[268]: «لا يَحرُمُ إلَّا عِندَ خوفِ الفِتنةِ أوِ الشَّهوةِ»، فهو مَحمولٌ على مَن سلَّمَه اللهُ تعالى مِن هذه البَلوى؛ أمَّا مَن غلَبَت عليه تلك البَلِيَّات، فقَلَّ أن يحصُلَ منه النَّظَرُ إلَّا بشَهَواتٍ، وتَمَدُّدِ أعُينٍ وتَقَلُّباتٍ.

كيف وقد ضبَط الإمامُ الغزالي -عليه رحمةُ الباري- في «**الإحياءِ**»[269] الشَّهوةَ: بأن يتَأثَّرَ بجَمالِ صورةِ الأمرَدِ، بحيث يُدرِكُ من نفسِه[270] فَرقًا بينَ المِلَحي وبينَه؟

وقريبٌ منه قولُ السُّبكيِّ[271]: «هيَ: أن يَنظُرَ فيَلتَذَّ، وإن لم يشتَهِ زيادةَ وقاعٍ، أو مُقَدِّمةٍ له، فذاكَ زيادةٌ في الفِسقِ» انتَهى.

وإذا كان المِذهَبُ: حُرمةَ النَّظَرِ إلى الأجنبيَّةِ ولو عَجوزًا شوهاءَ لا تُشتَهى، ولو بلا شَهوةٍ[272]، فكيف بمَن هو أجمَلُ وأفتَنُ مِن كثيرٍ من النِّساءِ؟

وإذا كانَ حُكمَ النَّظَرِ فما بالُك بالمسِّ، واللَّمسِ، والخَلوةِ، ونحوِ ذلك، مِمَّا فيه الخَطَرُ؟

---

(266) يحيى بن شرف النووي، «فتاوى الإمام النووي» المسمى بـ«المسائل المنثورة»، ترتيب: تلميذه الشيخ علاء الدِّين بن العطار، تحقيق: محمد الحجار، الطبعة السادسة، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1417هـ)، ص١٨٢- 183.

(267) أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، تصحيح: مجموعة من العلماء، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1357هـ)، ١٩٨/7.

(268) في: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، 192/6- 193.

(269) «في (الإحياء)» ليس في (ب). ويراجع: الغزالي، إحياء علوم الدِّين، كتاب (كسر الشهوتين)، (بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله)، 174/3- 175.

(270) «من نفسه» ليس في (أ).

(271) كما نقَله شمسُ الدِّين الرملي، محمد بن أحمد، في: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، (بيروت: دار الفكر، 1404هـ)، 192/6.

(272) يراجع: محمد بن موسى الدَّمِيري، النجم الوهاج في شرح المنهاج، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الطبعة الأولى، (جدة: دار المنهاج، 1425هـ)، 19/7- 20؛ وأحمد بن عبد الرحيم أبو زرعة، «تحرير الفتاوي على التنبيه والمنهاج والحاوي» المسمى «النكت على المختصرات الثلاث»، تحقيق: عبد الرحمن الزواوي، الطبعة الأولى، (جدة: دار المنهاج، 1432هـ)، 510/2- 511.

فهنالك خَسِر المغترُّ المفتون، واستحَقَّ الخِزيَ والهُوْن، إنَّا لله وإنَّا إليه راجِعون، ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[النور: 30].

فالنَّجاةُ كُلُّ النَّجاةِ في البُعدِ عن أسبابِ العِصيان؛ كقُربِ هؤلاء[273] الأنتان؛ إذ «**مَنْ حَامَ**[274] **حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ**»؛ كما يشهَدُ به الخَبَرُ[275]، والعِيانُ [16/ب].

هذا، وإنِّي عاجزٌ[276] على حَدِّ قولِ القائل[277] رحمه الله:

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَولٍ بِلَا عَمَلٍ *** لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لِذِي عُقُمِ
أَمَرْتُكَ الْخَيرَ لَكِنْ مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ *** وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ[278]

فلا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله، والهِدايةُ هِدايةُ الله، والعِنايةُ عِنايةُ الله، لكِن قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾[التوبة: 105]، وقال صلى الله عليه وسلم: «**اعمَلوا ولا تتَّكِلوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له**»[279]، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[الأعراف: 55]، وقال صلى الله عليه وسلم: «**الدُّعَاءُ مُخُّ العِبادةِ**»[280].

---

(273) «هؤلاء» ليس في (أ).

(274) «حام» في (ب): «حال».

(275) كما أخرجه البخاري، في «صحيحه»، كتاب (البيوع)، باب (الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات)، 53/3، برقم (2051)؛ ومسلم، «صحيحه»، كتاب (البيوع)، باب (أخذ الحلال وترك الشبهات)، 50/5، برقم (1599).

(276) «عاجز» ليس في (أ).

(277) وهو الإمام البوصيري رحمه الله في: البردة الشريفة. يراجع: «البردة- مع شرح الشيخ خالد الأزهري»، تقديم: محمد علي حسن، (بغداد: مكتبة الأندلس، مطبعة الإرشاد، 1966م)، ص53.

(278) في (ب): قدَّم البيتَ الثاني على الأوَّل.

(279) أخرجه البخاري، في «صحيحه»، كتاب (تفسير القرآن)، باب (﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾)، 171/6، برقم (4949)؛ ومسلم، في «صحيحه»، كتاب (القَدَر)، باب (كيفية خلق الآدمي في بطن أمِّه، وكتابةِ رزقِه وأجلِه وعَمَلِه وشقاوَتِه وسعادتِه)، 46/8، (2647) من حديث عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه.

(280) أخرجه الترمذي في «سننه»، أبواب (الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، (باب منه)، 6/6، (3667) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: «هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه».

فنسألُ اللَّهَ تعالى أن يَمُنَّ علينا بهُداه وعافيتِه ورِضاه، وأن يجعَلَنا وأحِبَّتَنا مِن أهلِ طاعتِه وتقواه؛ إنَّه رَءُوفٌ بالعِباد، كريمٌ جَوَاد، مُتَوَسِّلينَ إليه بحبيبِه أعبَدِ العُبَّاد، سيِّدِنا مُحَمَّدٍ، عليه وعلى آلِه وصَحبِه أجمعين أفضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ إلى يومِ الدِّينِ، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: 180 - 182].

قال مُؤَلِّفُه: نُجِز هذا الأُنموذَجُ اللَّطيفُ في الثالثِ والعشرين من المحَرَّمِ الحرامِ، افتِتاحَ سنةِ اثنَينِ وعشرين ومئةٍ وألفٍ من الهجرةِ النَّبويَّةِ، على صاحِبِها أفضَلُ الصَّلاةِ والسَّلام.

***

الخاتمة

توصَّلت الدراسة إلى ما يأتي من نتائج:

1. الإمام البديري كان من أعلام عصره، ومن علماء الشافعية المعتبرين.
2. الفساد الأكبر في الأمة ينبع من انحراف الطبقة المرجعية (العلماء والعباد).
3. امتلاك المعرفة الشرعية أو العقلية لا يضمن النجاة ما لم يقترن بالعمل وتزكية الباطن.
4. خطورة اتخاذ الدِّين مطية للمكاسب الدنيوية.
5. خفاء عيوب النفس ودقة مداخل الشيطان؛ حيث إن الشيطان قد يترك الإنسان يجتهد في العبادات الظاهرة، لكنه يتسلل إليه من أبواب خفية كـ«العُجب، والكبر، والرياء، واحتقار الخَلق»، مما يؤدِّي إلى إحباط العمل.
6. الأعمال القلبية -كالتواضع والخشية- أثقل في الميزان من أمثال الجبال من أعمال الجوارح إذا صاحبها الغرور.
7. سعة الفكر الإسلامي عبر العصور، ومدى الحرية الفكرية في تناول مثل هذه المسائل.

وتوصي الدراسة بما يلي:

1. الاشتغال بعيوب النفس (المحاسبة الذاتية).
2. أن يجعل الإنسان من دراسة عيوب الآخرين مرآة لنفسه، لا سلاحًا للطعن فيهم.

3. أن الانشغال بعيوب العلماء والمتصوفة وإساءة الظن بهم دون إصلاح النفس هو "عين الهلاك والفساد".
4. عدم الاقتصار على الفقه الجدلي والخلافيات، والتوجه نحو "فقه القلوب" الذي يُورث الخوف من الله والتقوى، باعتباره العلم النافع المنجي.
5. ضرورة وجود أستاذ (شيخ) خبير بمسالك الروح وعوائق الطريق.
6. ضرورة الجمع بين اتخاذ الأسباب الدنيوية وتفعيل الطاعات الجسدية من جهة، وبين عدم الركون إليها والاعتماد التام على فضل الله والدعاء والتضرع من جهة أخرى.
7. ضرورة الاعتناء بتراث الشيخ البديري.

***

ثَبَتٌ بأهمِّ المصادر والمراجع

ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، تصحيح: مجموعة من العلماء، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1357هـ).

أبو السَّرِي، هَنَّاد بن السَّرِي، الزهد، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، الطبعة الأولى، (الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، 1406هـ).

أبو القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد، جزء فيه ما انتقى ابن مردويه على أبي القاسم الطبراني من حديثه لأهل البصرة، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، (الرياض: أضواء السلف،1420هـ).

أبو سعيد الخادمي، محمد بن محمد بن مصطفى، بريقةٌ محموديَّة في شرح طريقةٍ محمَّديَّة وشريعةٌ نبويَّة في سيرةٍ أحمديَّة، (القاهرة: مطبعة الحلبي، 1348هـ).

أبو طالب المكي، محمد بن علي الحارثي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق: د.عاصم إبراهيم الكيالي، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1426هـ).

أبو عبد الرحمن السُّلَمي، محمد بن الحسين النيسابوري، طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ).

أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (القاهرة: مطبعة السعادة، 1394هـ).

أحمد بن حنبل، الزهد، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ).

البديري، شمس الدين محمد بن محمد بن محمد، «الجواهر الغوالي في ذكر الأسانيد العوالي»، مخطوط بـ«الأزهرية»، برقم (40588).

التالدي، أحمد الصومعي، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق: علي الجاوي، (المغرب: جامعة ابن زهر، كلية الآداب، 1996م).

الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، (بيروت، دار الجيل، د.ط.ت).

الدَّمِيري، كمال الدِّين محمد بن موسى، النجم الوهاج في شرح المنهاج، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الطبعة الأولى، (جدة: دار المنهاج، 1425هـ).

الديربني، عبد العزيز بن أحمد، طهارة القلوب والخضوع لعلَّام الغيوب، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ).

شمس الدِّين الرَّملي، محمد بن أحمد بن حمزة، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، (بيروت: دار الفكر، 1404هـ).

الشيخ خالد الأزهري، شرح البردة، تقديم: محمد علي حسن، (بغداد: مكتبة الأندلس، مطبعة الإرشاد، 1966م).

الغزالي، حجَّة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدِّين، الطبعة الأولى، (جدة: دار المنهاج، إصدار2، 1440هـ).

الغزالي، حجَّة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد، الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين، المسمَّى: «أصناف المغرورين»، تحقيق: عبد اللطيف عاشور، (القاهرة: مكتبة القرآن، 1406هـ).

القسطلَّاني، أحمد بن محمد، المواهب اللدُنيَّة بالمِنَح المحمديَّة، تحقيق: صالح الشامي، الطبعة الثانية، (بيروت: المكتب الإسلامي، 1425هـ).

القشيري، عبد الكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية، تحقيق: د.عبد الحليم محمود، د.محمود بن الشريف، (القاهرة: دار الشعب، 1409هـ).

المحاسِبي، الحارث بن أسد، النصائح، ضمن مجموع من تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1406هـ).

الملَّا أبو حفص الموصلي، عمر بن محمد بن الخضر، وسيلة المتعبِّدين إلى متابعة سيِّد المرسلين، (الهند: دائرة المعارف العثمانية، د.ت).

المناوي، زين الدِّين محمد المدعو بـ«عبد الرؤوف»، فيض القدير، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ).

وكيع بن الجراح، الزهد، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، الطبعة الأولى، (المدينة المنورة: مكتبة الدار، 1404هـ).

اليافعي، عفيف الدِّين أبو السعادات عبد الله بن أسعد، روض الرَّياحين في حكايا الصالحين، تحقيق: محمد عزت، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ت).

***

References:

Abū ʻAbd al-Raḥmān al-Sulamī, Muḥammad ibn al-Ḥusayn al-Naysābūrī. *Ṭabaqāt al-Ṣūfīyah*. Edited by Muṣṭafá ʻAbd al-Qādir ʻAṭā. 1st ed. Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1419 AH.

Abū al-Qāsim al-Ṭabarānī, Sulaymān ibn Aḥmad. *Juz' fīhi mā antaqá Ibn Mardawayh ʻalá Abī al-Qāsim al-Ṭabarānī min ḥadīthihi li-ahl al-Baṣrah*. Edited by Badr ibn ʻAbd Allāh al-Badr. Riyadh: Aḍwā' al-Salaf, 1420 AH.

Abū al-Sarī, Hannād ibn al-Sarī. *al-Zuhd*. Edited by ʻAbd al-Raḥmān al-Faryawā'ī. 1st ed. Kuwait: Dār al-Khulafā' lil-Kitāb al-Islāmī, 1406 AH.

Abū Nuʻaym al-Aṣbahānī, Aḥmad ibn ʻAbd Allāh. *Ḥilyat al-awliyā' wa-ṭabaqāt al-aṣfiyā'*. Cairo: Maṭbaʻat al-Saʻādah, 1394 AH.

Abū Saʻīd al-Khādimī, Muḥammad ibn Muḥammad ibn Muṣṭafá. *Barīqah maḥmūdīyah fī sharḥ Ṭarīqah Muḥammadīyah wa-sharīʻah nabawīyah fī sīrah Aḥmadīyah*. Cairo: Maṭbaʻat al-Ḥalabī, 1348 AH.

Abū Ṭālib al-Makkī, Muḥammad ibn ʻAlī al-Ḥārithī. *Qūt al-qulūb fī muʻāmalat al-maḥbūb wa-waṣf ṭarīq al-murīd ilá maqām al-tawḥīd*. Edited by ʻĀṣim Ibrāhīm al-Kayyālī. 2nd ed. Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1426 AH.

Aḥmad ibn Ḥanbal. *al-Zuhd*. Annotated by Muḥammad ʻAbd al-Salām Shāhīn. 1st ed. Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1420 AH.

al-Azharī, al-Shaykh Khālid. *Sharḥ al-Burdah*. Introduction by Muḥammad ʻAlī Ḥasan. Baghdad: Maktabat al-Andalus, Maṭbaʻat al-Irshād, 1966.

al-Budayrī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Muḥammad ibn Muḥammad. *al-Jawāhir al-ghawālī fī dhikr al-asānīd al-ʻawālī*. Manuscript, al-Azharīyah, no. 40588.

al-Damīrī, Kamāl al-Dīn Muḥammad ibn Mūsá. *al-Najm al-wahhāj fī sharḥ al-Minhāj*. Edited by a group of researchers. 1st ed. Jeddah: Dār al-Minhāj, 1425 AH.

al-Dayrīnī, ʻAbd al-ʻAzīz ibn Aḥmad. *Ṭahārat al-qulūb wa-al-khuḍūʻ li-ʻAllām al-ghuyūb*. Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1424 AH.

al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad ibn Muḥammad. *al-Kashf wa-al-tabyīn fī ghurūr al-khalq ajmaʻīn* (*Aṣnāf al-maghrūrīn*). Edited by ʻAbd al-Laṭīf ʻĀshūr. Cairo: Maktabat al-Qur'ān, 1406 AH.

al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad ibn Muḥammad. *Iḥyā' ʻulūm al-dīn*. 1st ed. Jeddah: Dār al-Minhāj, 2nd issue, 1440 AH.

al-Jabartī, ʻAbd al-Raḥmān ibn Ḥasan. *Tārīkh ʻAjā'ib al-āthār fī al-tarājim wa-al-akhbār*. Beirut: Dār al-Jīl, n.d.

al-Muḥāsibī, al-Ḥārith ibn Asad. *al-Naṣā'iḥ*. Within a collection edited by ʻAbd al-Qādir Aḥmad ʻAṭā. 1st ed. Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1406 AH.

al-Mullā Abū Ḥafṣ al-Mawṣilī, ʻUmar ibn Muḥammad ibn al-Khaḍir. *Wasīlat al-mutaʻabbidīn ilá mutābaʻat sayyid al-mursalīn*. India: Dā'irat al-Maʻārif al-ʻUthmānīyah, n.d.

al-Munāwī, Zayn al-Dīn Muḥammad, known as ʻAbd al-Ra'ūf. *Fayḍ al-qadīr*. Cairo: al-Maktabah al-Tijārīyah al-Kubrá, 1356 AH.

al-Qasṭallānī, Aḥmad ibn Muḥammad. *al-Mawāhib al-ladunīyah bi-al-minaḥ al-Muḥammadīyah*. Edited by Ṣāliḥ al-Shāmī. 2nd ed. Beirut: al-Maktab al-Islāmī, 1425 AH.

al-Qushayrī, ʻAbd al-Karīm ibn Hawāzin. *al-Risālah al-Qushayrīyah*. Edited by ʻAbd al-Ḥalīm Maḥmūd and Maḥmūd ibn al-Sharīf. Cairo: Dār al-Shaʻb, 1409 AH.

al-Ramlī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad ibn Ḥamzah. *Nihāyat al-muḥtāj ilá sharḥ al-Minhāj*. Beirut: Dār al-Fikr, 1404 AH.

al-Tālidī, Aḥmad al-Ṣawmaʻī. *al-Muʻzá fī manāqib al-Shaykh Abī Yaʻzá*. Edited by ʻAlī al-Jāwī. Morocco: Jāmiʻat Ibn Zuhr, Kullīyat al-Ādāb, 1996.

al-Yāfiʿī, ʿAfīf al-Dīn Abū al-Saʿādāt ʿAbd Allāh ibn Asʿad. *Rawḍ al-rayāḥīn fī ḥikāyāt al-ṣāliḥīn*. Edited by Muḥammad ʿIzzat. Cairo: al-Maktabah al-Tawfīqīyah, n.d.

Ibn Ḥajar al-Haytamī, Aḥmad ibn Muḥammad ibn ʿAlī. *Tuḥfat al-muḥtāj fī sharḥ al-Minhāj*. Revised by a group of scholars. Cairo: al-Maktabah al-Tijārīyah al-Kubrá, 1357 AH.

Wakīʿ ibn al-Jarrāḥ. *al-Zuhd*. Edited by ʿAbd al-Raḥmān al-Faryawāʾī. 1st ed. Medina: Maktabat al-Dār, 1404 AH.